الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

جامعة البويرة

قسم التاريخ

عنوان المذكرة:

حملة شارلكان على الجزائر 1541م

" الأسباب والتّداعيات"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث

إعدادالطالبتين:

- أحلام زواقي
- يمينة مياسي

إشراف الدكتورة :

رشيدة شدري معمر

السنة الجامعية: 2022/2021

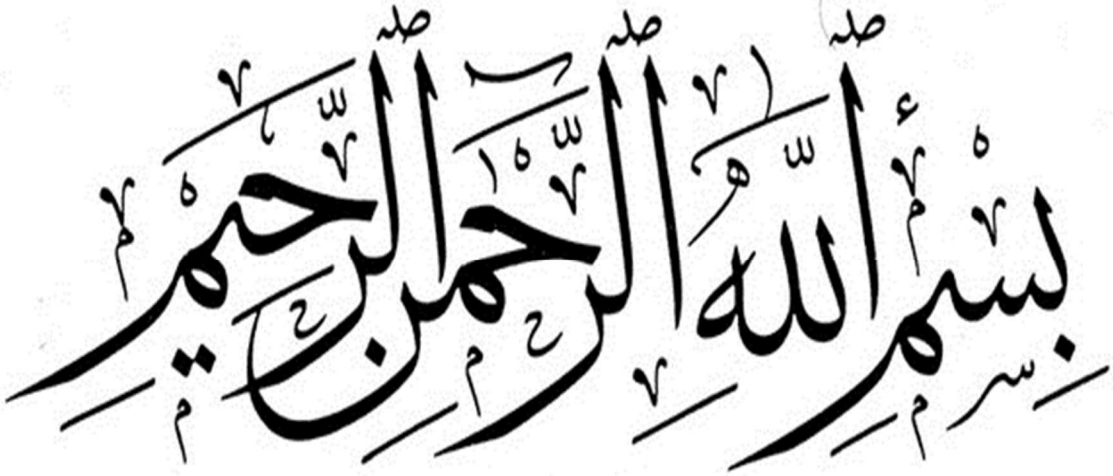
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر و العرفان

الحمد لله الذي وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا الثبات وأعاننا على إتمام هذا العمل المتواضع وإعترافا بالفضل والجميل نتوجه بعميق الشكر والتقدير إلى أستاذتنا المشرفة الدكتورة" شدري معمر رشيدة" على نصائحها الهامة التي قدمتها لنا لإنجاز هذه المذكرة كما لايفوتنا تقديم جزيل الشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ، جامعة البويرة

الإهداء

أول من يشكر ويحمد أناء الليل و أطراف النهار هو العلي القاهر الواحد الأحد أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى سندي ومشجعي الدائم أبي العزيز وإلى رفيقتي ومعلمتي الأولى أمي الغالية وأشكر زوجي الذي تحمل تقصيري وإهمالي معه طيلة فترة إنجاز بحثي والتقصير في حق إبنتي صغيرتي وقطعة من قلبي التي أتمنى أن أراها أفضل مني محققة أحلامها و أمنياتها كما أهدي هذا العمل إلى كل إخوتي وأخواتي وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

أحلام

إهداء

الحمد لله ماإنتهى درب ولا ختم جهد ولا تم سعي إلا بفضله

فاليوم أرفع قبعة النجاح إحتراما لسنين مضت من عمري فها هي

ثمرة هذا العمل المتواضع أهديها إلىوالديّ حفظهما الله اللذين

كانا عونا لي في هذا المسير وإلى إخوتي وأخواتي سندي في الحياة

وأخص بالذكر أخي "جمال" الذي رافقني خطوة بخطوة طيلة

مساري التعليمي فله مني جزيل الشكر والإحترام كما أقدم شكري

إلى من علمني حرفا أصبح لي نبراسا ينير الطريق أمامي وإلى كل

الزملاء والأصدقاء خاصة إيمان.

يمينة

قائمة المختصرات:

تر.....ترجمة

تح.....تحقيق

تع.....تعليق

تع.....تعريب

تق.....تقديم

ج.....جزء

ص.....صفحة

ط.....طبعة

ع.....عدد

م.....ميلادي

هـ.....هجري

مقدمة

يتمتع البحر الأبيض المتوسط منذ القدم إلى يومنا هذا بموقع استراتيجي هام بالنسبة للقارات الثلاث المحيطة به ولهذا سعت الدول المحيطة به بسط نفوذها ووجودها وهيمنتها عليه و الإستفادة من موقعه لهذا لم يهدأ بال الأوروبيون للسيطرة عليه وعلى الدول التي تقع جنوبه المتمثلة في بلاد المغرب الإسلامي من الحفصيين والزيانيين والمرينيين مستغلين بذلك الوضعية الكارثية التي كانت تعيشها هاته الدول من ضعف سياسي وحروب أهلية، فاندفعت إسبانيا للحصول عليهم متحججة بذرائع دينية حاملة شعار تمسيح العالم ومدعمة من الكنيسة الكاثوليكية ومتشجعة بسيطرتها على آخر معقل للمسلمين بالأندلسيين (غرناطة) 1429م فراحت تشن حملات عسكرية خاصة على السواحل الجزائرية التي سقطت مدنها الواحدة تلو الأخرى حتى ظهور الإخوة بربروس الذين استنجد بهم الجزائريون الذين لبو ندائهم وحرروا معظم المدن الساحلية من الاحتلال الإسباني وتأسيس إيالة الجزائر، لهذا زاد حقد الإسبان عليها مما دفع بالإمبراطور شارلكان بقيادة حملة بنفسه رغبة منه في كسر شوكة الأتراك العثمانيين بالجزائر.

دوافع اختيار الموضوع:

لعل أهم ما دفعنا لإختيار هذا الموضوع هو:

دوافع ذاتية:

- رغبتنا في دراسة هذا الموضوع نظرا لأهميته وتشجيع الأستاذة المشرفة علينا لاختياره هذا من جهة ومن جهة أخرى كون حملة شارلكان تعد من أهم وأخطر الحملات العسكرية التي اجتاحت الجزائر خلال القرن السادس عشر ميلادي.

- الميل الشخصي إلى دراسة تاريخ الجزائر الحديث، وخاصة في جانبه العسكري

دوافع موضوعية:

- تقديم دراسة حول حملة شارلكان على الجزائر.

- تقديم مساهمة متواضعة لإثراء المكتبة الجامعية.

_ محاولة منا معرفة أطوار ودوافع حملة شارلكان على الجزائر.

الإشكالية المطروحة:

وانطلاقا من ذلك حددنا إشكالية عامة للموضوع تمحورت حول **أطوار ومجريات حملة شارلكان وانعكاساتها على الجانب الجزائري بالدرجة الأولى**

واندرجت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

- كيف كانت ظروف وأوضاع بلاد المغرب الإسلامي قبل وإسبانيا الحملة؟

- ما الدور الذي لعبه الإخوة بربروس في وضع الأسس الأولى لقيام دولة الجزائر وتثبيت الوجود العثماني بها؟

- وإلى أي مدى ساهمت هذه الحملة في بروز الجزائر كقوة إقليمية ودولي؟

منهجية الدراسة:

لقد اعتمدنا في معالجة هذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي وذلك من خلال وصف الأحداث والحقائق التاريخية المسايرة لحملة شارلكان وما ترتب عنها من أحداث وتداعيات.

الخطة المهيكلة:

وللإجابة على هذه التساؤلات وإعطائها نصيبا من البحث والتحري ارتئينا إلى وضع خطة تفصيلية للموضوع تضمنت مقدمة وثلاث فصول إضافة إلى خاتمة لأهم ما جاء في هذه الدراسة.

فقد تناولنا في الفصل الأول أوضاع الجزائر وإسبانيا قبل التواجد العثماني في الجزائر عرضنا فيه أوضاع المغرب الأوسط من الدولة الزيانية وكذا تدخل دول الجوار في الشأن الداخلي لهذه الدولة وما انجر عنه من تبعيات، وبالمقابل تطرقنا لأوضاع إسبانيا في نفس الفترة المدروسة وما شهدته من أحداث إلى غاية استكمال وحدتها السياسية، وكل هذه الأحداث جعلت من المغرب الأوسط عرضة للعدوان الإسباني الذي احتل معظم سواحله.

والفصل الثاني خصصناه لدراسة العلاقات الجزائرية الإسبانية بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وتطرقنا فيه إلى ظهور الإخوة بربروس ومحاولتهم تحرير السواحل الجزائرية وصولا إلى الظروف التي ساعدت العثمانيين في بسط نفوذهم على المنطقة ومجهوداتهم التي بذلت وأهم العراقيل التي واجهتهم في تثبيت وجودهم.

أما الفصل الثالث فقد خصصناه للحديث عن حملة شارلكان ضد الجزائر الخلفيات والتداعيات، بدايته كانت بتعريف الإمبراطور شارلكان ثم أبرزنا الأطراف المشاركة في حملته على الجزائر وأهم استعداداتها من الجانبين ثم تتبعنا سير الحملة وتطوراتها وأنهينا هذا الفصل بالتداعيات التي خلفتها حملة شارلكان على الجزائر وإسبانيا إقليميا ودوليا، أما الخاتمة فجاءت عبارة عن حوصلة لأهم ما جاء في هذه الدراسة.

- ولدراسة هذا الموضوع استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع التي تفاوتت قيمتها العلمية وأهميتها في خدمة موضوعنا وسنذكر أهمها:

المصادر:

- مخطوط الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة للكاتبة ابن رقية التلمساني الذي تضمن الكثير من الأحداث ومنها حيثيات الدخول العثماني إلى الجزائر وكذلك تفاصيل حملة شارلكان عام 1541م.

- كتاب مذكرات خير الدين بربروس الذي اعتمدنا عليه كثيرا في الفصلين الثاني والثالث والذي يروي الأحداث التي وقعت للأخوين على لسان خير الدين.

- كتاب الأغا بن عودة المزاري الذي تناول مجريات الحملة.

- كتاب إفريقيا لمارمول كربخال والذي يعد مصدرا هاما خلال القرن 16م خاصة ما تعلق بالحملات الإسبانية على السواحل الجزائرية.

المراجع:

- كتاب حرب الثلاثمائة لأحمد توفيق المدني وهو كتاب قيم إذ يذكر الظروف التي كانت تعيشها منطقة المغرب الإسلامي قبل مجيء الأتراك كما تابع أعمال خير الدين وعروج.

- كتاب الجزائر خلال الحكم التركي لصالح عباد الذي تناول بداية التواجد العثماني بالجزائر مع ذكر الحوادث التاريخية وتوثيقها.

- كتاب الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية لعبد القادر فكاير والذي احتوى على معلومات قيمة.

إضافة إلى كتابات كل من يحيى بوعزيز ومحمد خير فارس.

كما استعنا في إنجاز هذه الدراسة على مجموعة من الرسائل الجامعية والمقالات المحلية والتي تم ترتيبها جميعا في قائمة البيبليوغرافيا.

الصعوبات التي واجهتنا:

- كثرة المادة العلمية وتداخلها.

- مشكل الترجمة والاستفادة من المصادر الأجنبية.

- صعوبة ترجمة المخطوطات.

- عناء السفر بحثا عن المادة العلمية.

- انعدام بعض الكتب الخادمة لموضوعنا رغم محاولاتنا ولكن حال ذلك دون الحصول عليها.

الفصـــل الأول:

أوضاع الجزائر وإسبانيا قبل التواجد العثماني في الجزائر

المبحث الأول: أوضاع المغرب الأوسط(الجزائر)

المبحث الثاني: أوضاع اسبانيا

المبحث الثالث: الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية

المبحث الأول: أوضاع المغرب الأوسط (الجزائر)

نتج عن سقوط دولة الموحدين ثلاث دويلات تتنازع السلطة في أقطار الشمال الإفريقي متخاصمة فيها بينهما مما أدى إلى إضعافها[1] وهذه الدويلات هي الدولة الزيانية في المغرب الأوسط (الجزائر) والدولة الحفصية في المغرب الأدنى (تونس)، الدولة المرينية في المغرب (الأقصى)[2] وكنتيجة حتمية لهذا التفكك الذي ساد منطقة المغرب الإسلامي فقد طبعت العلاقات بين هذه الدويلات التطاحن والنزاعات لفترة طويلة دامت قرابة ثلاثة قرون وظلت دولة بني زيان خاصة عرضة للتهديدات الخارجية، وهذا ما أضعف كيانها وأضحت بين فكي الرحى أطماع الحفصيين من الشرق وأطماع المرينيين من الغرب، فشكلت الحلقة الأضعف حيث سعت كل دولة القضاء عليها والتوسع على حسابها[3]، زد على ذلك الوضع الداخلي الذي عاشته تلمسان من نزاعات على العرش بين أفراد السلطة الحاكمة أدى إلى ضعفها وتجزأ سلطتها إلى جمهوريات وإمارات مستقلة عن السلطة[4].

المطلب الأول: ضعف الدولة الزيانية:

ظهرت الملامح الأولى لدولة بني عبد الواد التي بسطت نفوذها على المغرب الأوسط وجعلته قاعدة لها منتصف القرن 13م متخذة من تلمسان عاصمة لها، وكان

---

[1] رأفت الشيخ، تاريخ المغرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، جامعة الزقازيق، مصر 1994، ص374.

[2] شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص26.

[3] صالح حمير، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541 وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة باتنة 2007/2006، ص32.

[4] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص29.

يغمراسن بن زيان[1] المؤسس الحقيقي لهذه الدولة[2]، فمنذ نشأتها كان الاستقرار بها شبه منعدم نتيجة لعديد التغيرات في السياسة المتبعة من طرف الحكام وكذلك إطارها الجغرافي الذي كان بين المد والجزر[3]، فكل هذا أدى إلى منعرج خطير عصف بالدولة الزيانية وزاد من تأزم الأوضاع الداخلية ورفع من حدة التوتر والصراع على العرش بين أفراد البيت الزياني، مما ساهم في التعجيل بانهيار الدولة بداية من القرن 16م[4]، حيث أصبح سلاطين الدولة الزيانية يستنجدون بالإسبان ويتحالفون معهم لتقوية نفوذهم في دواليب السلطة للبقاء لفترة أطول على كرسي العرش[5]، ومن هنا تعاظمت الفتن وزادت الأطماع حول النفوذ إذ عجز الزيانيون على حماية حتى المناطق الموالية لهم[6].

وقد وصلت الأوضاع إلى أقصى الدرجات من الضعف والانحلال ابتداء من عام 1503م أين أصبح الخطر الإسباني على الجزائر حقيقة واقعة، حيث استغل

---

[1] **يغمراسن بن زيان**: هو أبو يحي يغمراسن بن ثابت من بني عبد الواد، ولد سنة 603هـ/1206م، تولى حكم الدولة الزيانية حوالي 50 سنة 1236-1282 في فترة عمت فيها الاضطرابات، وقد أبدى مقدرة كبيرة في إرساء دعائم حكمه وتثبيت أسس دولته، توفي سنة 681هـ-1283م أنظر: أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشيد، القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر2013، ص56.

[2] صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص11.

[3] عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفد للنشر والتوزيع الجزائر، 2002، ص43.

[4] محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543) ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص91.

[5] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية والى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، الجزائر ص50.

[6] رشيدة شدري معمر، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية (1518-1830) أطروحة لنيل دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر (2017-2018)، ص16.

الإسبان ثغرة الصراع الحاصل بين أبو حمو الثالث وابن أخيه أبو زيان المسعود (المخلوع والسجين) فقام الإسبان بدعم أبي يحي الثاني شقيق أبي زيان ضد عمه (السلطان المتغلب) فاستولى الأمير يحيي ابن ثابتي على تنس عام 1506م بمساعدة الإسبان. وقد انجر عن هذا حدوث حروب طاحنة بين عرش تنس وعرش تلمسان قتل فيها الجاني والمذنب والبريء[1]. وفي خضم هذه الأحداث التي نتج عنها تعاقب عدد كبير من الحكام على السلطة في فترة زمينة وجيزة[2].

أما من الناحية الشرقية أين تتواجد الدولة الحفصية التي كات سلطتها تمتد من تونس إلى بجاية، هي الأخرى كان يسودها صراع حاد بين الولاة الحفصيين في قسنطينة وبجاية واستمر هذا الصراع الدموي من القرن الرابع عشر والخامس عشر إلى بداية القرن السادس عشر[3] فكان لزاما على القوى الداخلية في مثل هذه الظروف الصعبة أن تتوحد وتتكتل وتضع الخلافات الشخصية والأحقاد جانبا. إلا أنه حدث العكس[4]، ويظهر ذلك جليا في عصيان بعض القبائل وخاصة تلك التي تتمتع بشبه استقلال في أقاليمها فكلما أحست بضعف الملوك إلا وبالغت في تمردها وزاد سقف مطالبها[5].

وفي ظل هذه الأوضاع الخانقة انقسمت البلاد إلى عدد لا يحصى من الإمارات والقبائل المستقلة التي استحوذت على مناطق نفوذ واسعة على حساب الدولة الزيانية

---

[1] يحي بوعزيز، تلمسان، وزارة الثقافة للنشر، الجزائر 2007، ص80.

[2] محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979، ص12.

[3] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة للطباعة والنشر ، 2012، ص08.

[4] يحي بوعزيز، المرجع السابق ، ص81.

[5] ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر2013، ص16.

بزعامة شيوخ القبائل[1]. تزيد عن خمسة عشر كيانا[2] ترفض الخضوع إلى السلطة المركزية[3]. كمنطقة القبائل الكبرى كانت تحت سيطرة آل القاضي عرفت(بإمارة كوكو)، ومدينة الجزائر يسيطر عليها الثعالبة (آل تومي) وإمارة الدواودة بالحضنة والزاب[4] إضافة إلى الإمارة الحفصية في قسنطينة وإمارة بني جلاب بتقرت وواد الريغ[5] ولقد وصف هذا التفكك شارل أندري جوليان بقوله "أن بلاد المغرب أصبحت عبارة عن فسيفساء سياسية"[6].

المطلب الثاني: جذور الصراع مع دول الجوار قبل القرن16م.

بذلت الدولة الزيانية عبر محطات تاريخية متسلسلة جهودا كبيرة للمحافظة على كيان الدولة وسط حشد من المتربصين[7]، نظرا لموقعها الجغرافي في الهام الذي جعل منها منطقة نزاع تحارب بني مرين تارة وبني حفص تارة أخرى[8]، وتجسد هذا التطاحن الإقليمي في حدوث تصادم لمصالح المغربية الثلاث ومحاولة كل طرف السيطرة وتزعم المنطقة ويعتبر الحفصيون أشد الطامعين لإزالة بني عبد الواد وانتزاع السيادة منهم، إذ

[1]شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تر: محمد مزالي والبشر بن سلامة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس 1983، ص321.

[2]جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007، ص16.

[3]صالح عباد، المرجع السابق ، ص09

[4]رشيدة شدري معمر، المرجع السابق ، ص 17

[5]يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر "الجزائر الحديثة"، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2009، ص08.

[6] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص321.

[7] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانيية بتلمسان، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص16.

[8] عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المركز الوطني للدراسات والبحوث، الجزائر، 2007، ص11.

استغلت الجارة الشرقية الصراعات القائمة ف الداخل الزياني وسعت للتوسع بضم قسنطينة وبجاية ومدت نفوذها إلى غرب الجزائر حتى وصلت إلى مشارف تلمسان[1].

فالدولة الحفصية نصبت نفسها الوريث الشرعي للموحدين، ومن جراء هذا عمت الفوضى وظهر بشكل واضح عجز ملوك بني عبد الواد في فرض سيطرتهم على الداخل والقضاء على الخطر الخارجي.

وأولى المواجهات العسكرية بين الطرفين كانت بمهاجمة السلطان الحفصي أبو زكريا يحي بن أبي محمد لتلمسان التي استولى عليها سنة 640هـ/1242م، وبعدها حاول أبو زكريا تعيين شخصية قوية موالية له بعد فرار يغمراسن نحو الجبل تاركا المدينة والظاهر أن السلطان الحفصي فشل في ذلك بامتناع العديد منهم بتولي المنصب خوفا من يغمراسن. مما اضطر إلى عقد صلح معه مقابل إعلان الولاء للحفصيين والدخول في خدمتهم وتقديم إتاوة قدرها مائة ألف دينار[2] وعند تولي عثمان بن يغمراسن الخلافة تم نقض العقد وتوترت العلاقة بين الجانبين سنة 686هـ/1287م[3].

وقد ظل الصراع قائم بين الدولتين بهدف السيطرة على المغرب الأوسط ومنها الصراع على بجاية سنة 732هـ/1332م والاستيلاء عليها، ولقد كانت الغلبة

---

[1] محمد السعيد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي (1708-1792)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية (2010-2011)، ص34.

[2] محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تر: محمود اغا بو عياد محمود، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 2011، ص17.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار الفكر للنشر، بيروت 2000، ص125.

للحفصيين الذين وجدوا الدعم من طرف المرينيين وكان هذا بعد تحالفهم مع السلطان الفاسي أبي سعيد عثمان[1].

كما تجددت التدخلات الحفصية في عهد عبد الواحد الذي تمت تنحيته عن السلطة سنة 827هـ/1424م ونصب السلطان أبو فارس خليفة موالي لهم الأمير محمد أبي تاشفين[2] الذي حاول الاستقلال بالسلطة والخروج عن الطاعة الحفصية في حدود 832هـ/1429م مما اضطر أبي فارس بالزحف على تلمسان مرة ثانية واحتلالها 834هـ/1431م وتنصيب أبو عباس أحمد بن أبي حمو لاستمرار السيطرة الحفصية وفي عام 866هـ/1462م قام الجيش الحفصي بحملة عسكرية كبيرة سارت من الشرق بمساعدة عديد قبائل بني عبد الواد وحلفت خسائر بشرية كبيرة ولم تهدأ الأوضاع إلا بتدخل العقلاء والفقهاء[3].

وفي أواسط 870هـ /1466م وبتحريض من قبائل بني عامر وبني سويد ضد محمد بن أبي ثابت تعرض المغرب الأوسط لهجمة شرسة من طرف الحفصيين انتهت بتدخل الشيخ القاضي وكبار البلد، بتقديم العفو لدى السلطان الحفصي[4].

أما الصراع مع بني مرين فكان أشد خطورة، فقد تسبب التنافس بينهما إلى نشوب حروب طاحنة من أجل السيطرة وبسط النفوذ بالرغم من انتمائهما إلى زناتة إلا أن المغرب الأوسط لم يعرف من المرينيين سوى الحروب ومحاولة الإخضاع،

---

[1] ابن خلدونّ، المصدر السابق ، ص146.

[2] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحوتع: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس 1966، ص ص 125، 126.

[3] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15، تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص257.

[4] الزركشي، المصدر السابق، ص157.

فالعلاقات بينهما تميزت بالعداء عبر فترات طويلة في جو مضطرب أجج الوضع دون تمكن أحدهما من السيطرة على الآخر[1].

لقد كانت الدولة المرينية المبادر الأول في شن عدة حملات عسكرية ضد الدولة الزيانية انتهت معظمها بالاحتلال أو الحصار، حيث قام السلطان المريني يوسف بن يعقوب بتسيير خمس حملات عسكرية ضد الدولة الزيانية[2] بين سنوات (689هـ-1281م) (695هـ/1286م)، (696هـ/287م) (698هـ/1289م)[3] انتهت هذه الحملات بحصار طويل على العاصمة تلمسان، ودامت مدة الحصار ثمانية سنين وثلاثة أشهر نال خلالها الأهالي ما لم تنله أمة جراء الكرب العظيم الذي حلّ بهم[4]. ثم تجدد الصراع بتولي السلطان أبي سعيد الحكم نتيجة الحقد المريني على السلطان أبي حمو موسى الأول الذي اتهموه بدعم معارضة الوطاسيين ضدهم[5].

كما كانت حملة 735هـ/1335م التي جهزها أبو حسن المريني أخطر حملة في عهده تمكن من اقتحام تلمسان سنة 737هـ/1737م واحتلال العديد من المناطق المجاورة[6]. وبداية عام 1420م وصولا إلى عام 1504م كف المرينيون اعتداءاتهم على المغرب الأوسط بعد صراع دام قرنين من الزمن على السلطة والنفوذ، تفرغهم لشؤونهم الداخلية إضافة إلى استفحال الخطر الإسباني البرتغالي في المنقطة[7].

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص422.

[2] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص130.

[3] عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص27.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص128.

[5] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، ج3، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص104.

[6] الناصري ، المصدر السابق، ص124.

[7] عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في 10هـ/16م، ج1، دار الأمل للنشر، 2006، ص75.

المبحث الثاني: أوضاع إسبانيا.

المطلب الأول: ممالك إسبانيا النصرانية.

1- **قشتالة:** عرفت شبه الجزيرة الأيبيرية عدة ممالك نصرانية أهمها مملكة قشتالة التي توحدت في سنة 614هـ/1217م وهي تعتبر الأكثر قوة وعداء للإسلام والمسلمين[1].

يعد ألفونسو العاشر الملقب بالعالم أو الحكيم ملك قشتالة الذي وصل إلى منصة العرش بعد وفاة والده فرناندو الثالث في شهر ماي سنة 1252م انشغل ألفونسو بالشؤون والإصلاحات الداخلية وكان يطمح لتكوين إمبراطورية ضخمة إذ كان يطمح إلى تاج الإمبراطورية الروماينة المقدسة[2]، ضف إلى ذلك محاربته للمسلمين وسيطرته على طليطلة بعد الخيانة والتواطؤ معه وضعف ملكها يحي القادر وضعف قدرتها الدفاعية دخلها سنة (458هـ-502هـ/1065م-1109م)[3]، ثم تحولت بعدها عاصمة قشتالة من برغوس إلى طليطلة. بعد سقوطها شهدت مملكة قشتالة عدة صراعات بين أفراد الأسرة الحاكمة حتى مجيئ ألفونسو الثامن (1158-1214/553-611) الذي عرف أيضا بعدائه للمسلمين حيث حاربهم وألحق بهم هزيمة نكراء في معركة العقاب عام 209هـ/1212م فكانت قشتالة ساحة للحروب والصراع إلى أن جاءت الملكة

[1] بوحسون عبد القادر، الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية (635-897هـ/1238-1492) أطروحة لنيل دكتوراه في التاريخ الحديث ، لجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان (2012_2013) ص63.

[2] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط4، مطبعة المدني، ص ص180،181.

[3] فضيل بو الصوف، العلاقات السياسية بين الأندلس وإسبانيا النصرانية في عصر الملوك الطوائف ق 05هـ/11م، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، ، ص46.

إيزبيلا وسيطرت على الأوضاع عام 1474م[1] حيث كانت رمزا للنظام الملكي في وجه اضطرابات الأشراف وإزاء الأخلاق المزدرية[2].

2- **أراغون**:

يعد بيدور الثاني حاكم أراغون بدأ حكمه (25 أفريل 1196م تحت وصاية أمه الملكة سانشا لحين بلوغ سن العشرين في 16 ماي 1196م ولقد كان على خلاف مع أمه. احتفل بتنصيبه ملكا لأراغون في سرقسطة وفيه أكد امتيازات وحقوق النبلاء. ولقد سار على نفس مسار أسلافه بالاهتمام بشؤون ممتلكاته في جنوب فرنسا[3].

لقد عرفت هذه الـمملكة بعدائه وكرهها للمسلمين حيث تعاونت مع قشتالة في مهاجمة الأندلس والقضاء على الدولة والأمة الإسلامية[4]. وقد كانت هذه المملكة تتحكم في جزر البليار وصقيلية وسيردينية وتتجه نحو المتوسط[5].

وبعد تولي خايمي (1274م) حكم أراغون بعد وفاة ولده بيدور الثاني، الذي فتمكن من توسيع نفوذ مملكته من خلال احتلاله لجزيرتي ميورقة ومنورقة الإسلامية في سنة 1223م وبلنسية سنة 1238م ثم دانية وشاطبة وأريولة خلال 1244-

[1]عادل سعيد بشتاوي الأندلسيون المواركة، المستشار رابح لطفي، القاهرة، 2001، ص50.

[2]جان بيرنجيه و آخرون ، موسوعة ا تاريخ أوروبا العام، ج2، عويدات للنشر والطباعة، ط1 ، بيروت، لبنان، ص231.

[3]محمد محمود النشار، دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، ط1، ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، جامعة طنطة، 2007ص ص44، 45.

[4]علي حسين الشطاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص61.

[5]محمد فارس، المرجع السابق، ص14.

1246م وتم إطلاق عليه اسم (الفاتح)[1]. كما عنى خايمي بعد ذلك بإصلاح الشؤون الداخلية إلى غاية وفاته سنة 1274[2] بعد فترة حكم طويلة.

وقد سعت هذه المملكة إلى السيطرة على حوض البحر المتوسط وبسط الهيمنة المسيحية فيه وعليه انتهجت سياسة مزدوجة تعتمد على الحرب والسلم من أجل التغلغل في بلاد المغرب الإسلامي وسعت أيضا للسيطرة على طريق الذهب الممتد إلى السودان الغربي لهذا سارعت لعقد معاهدات تجارية مع دول المغرب الإسلامي[3].

بعدها توحدت مملكة أراغون مع مملكة قشتالة تحت راية واحدة بعد الزواج السياسي الذي تم بين الأميرة إيزابيلا القشتالية والأمير فيرديناد الأراغوني. اللذان عملا على إنشاء إسبانيا الكبرى[4].

3- مملكة البرتغال:

تعد مملكة البرتغال ثالث أهم مملكة في شبه الجزرة الأيبيرية بعد قشتالة والأراغون تأسست هذه المملكة على يد الملك ألفونصو السادس[5]. ولقد منح هذا الملك كونتية البرتغالي إلى هنري البورجوني وكان هذا عقب زواجه من ابنته غير الشرعية تريزا وكانت تضم حينئذ المنطقة الواقعة أسفل نهر تاجةTaj o ونهر منهو

[1]عامر أحمد عبد الله حن، دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465)، أطروحة لنيل ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ص 161.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص93.

[3]بوحسون عبد القادر، المرجع السابق، ص ص66-67.

[4]نفسه، ص180.

[5]عادل سعيدان شتاوي، المرجع السابق، ص51.

(مينه) Minho لكن البرتغال في هذا الوقت كانت تابعة وخاضعة لمملكة قشتالة[1]، لكن انفصلت عنها سنة 1094 وهذا بعد فشل قشتالة في القضاء عليها[2].

لقد عرف هنري البورجوني في بداية حكمه بكرهه الشديد للمسلمين خاصة بعد ازدياد نشاطهم وقدرتهم على استرجاع الكثير من المدن المسحية وعلى رأسها لشبونة وتطلعهم لاسترجاع طليطة وهذا ما دفع هنري لمحاربتهم فالتقي بالجيش المرابطي بالقرب من المدينة الملكية لكنه انهزم في 16 سبتمبر 1100م ليلتقي الجيشان مرة أخرى في معركة أروكاArouca ورد اعتباره بعد إلحاقه هزيمة نكراء بالمسلمين[3].

ثم جاء عهد يوحنا الأول الذي حكم من الفترة الممتدة من 787هـ-836هـ/ 1385م-1433م حيث عرفت فترة حكمه الرخاء والازدهار الاقتصادي والتطور والتوسع السياسي والعسكري في إفريقيا وآسيا[4] ومن أجل تقوية ثروته واقتصاد مملكته أراد الوصول إلى غانة وأثيوبيا الغنيتين ولكن الثغور المغربية حالت دون وصوله يوحنا إليهم لذلك أراد أن يحتل المناطق الساحلية لشمال إفريقيا من أجل تحقيق أهدافه الاقتصادية[5].

المطلب الثاني: أوضاع اسبانيا سياسيا.

شهدت شبه الجزيرة الأيبيرية في القرن التاسع هجري والخامس عشر ميلادي 09هـ/15م ظهور عدة كيانات سياسية تمثلت في مملكة قشتالة (castile) ومملكة الأراغون (Aragon) مملكة النفار (Nivar) ومملكة البرتغال (Portugal) ومملكة

[1] محمد محمود أحمد النشار، تأسيس مملكة البرتغال السياسية الخارجية لألفونسو هنري ملك البرتغال (1128-522/1158-581هـ)، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر 1995، ص10.

[2] عادل سعيدان، المرجع السابق، ص51.

[3] محمد محمود النشار، تأسيس مملكة البرتغال.. ، ص ص39،40.

[4] بوحسون عبد القادر، المرجع السابق، ص69.

[5] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق ص ص 43-44.

غرناطة (Cranada) وفي الجنوب وجدت بين هذه الممالك صراعات ومناوشات كان القصد منها الهيمنة والسيطرة خارج حدودها[1].

انتهى الصراع بين هذه الممالك مباشرة بعد الزواج السياسي الذي تم بين فريناد "ملك أراغون" وإيزابيلا ملكة قشتالة عام 1469م ومنه تم توحيد المملكتين ونتج عنه ظهور إسبانيا موحدة[2] رغم أن هذا الزواج لم يدمج المملكتين معا فقد ظل لقب ملوك إسبانيا موجود ولم يكن فرديناد ملكًا على قشتالة إلا بوصفه زوجا لإيزابيلا[3]. فالوحدة السياسية التي شهدتها إسبانيا اتخذت صبغة دينية كاثوليكية أساسها التحالف الوثيق بين الكنيسة والملك خاصة في عهد ملوك الكاثوليك وهذا ما نتج عنه عداوة دائمة ضد المسلمين في الأندلس[4].

لتبدأ بعدها العلاقات بين الدول الأوربية تتطور ممهدة لدور أوروبا في تقوية قواتها وتوجيه نشاطها نحو الاستعمار الخارجي[5]، خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م[6] وضد بلدان المغرب الإسلامي التي تأويهم وتقدم لهم يد العون والتأييد[7]. وقد تمخضت عن هذه الوحدة عدة نتائج على الصعيدين الداخلي والخارجي.

---

[1] عبد القادر الميلق، تأثير ثورات المورسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية 2012، ص25.

[2] طاهر تومي، العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي إلياس، سيدي بلعباس (2014_2015) ص ص 15،16

[3] محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص14.

[4] طاهر تومي، المرجع السابق، ص16.

[5] عبد الحميد البطريق والعزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر دار الفكر العربي للطباعة والنشر، مصر، 1997م، ص44.

[6] علي حسين الشطاط، المرجع السابق، ص67.

[7] يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ممالك أوروبا 1500-1830، طبعة خاصة 2009م، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص09.

- **المستوى الداخلي**: استطاع الملكان من تنظيم السلطة وإعادة النظام بعد الحرب الأهلية وكسب ولاء النبلاء من خلال إغرائهم بالأموال والأراضي وتمكنا من السيطرة وعلى المؤسسة العسكرية التي أصبحت آلة لمواجهة أعمال الشغب والنهب والسلب[1].

- **المستوى الخارجي**: عظمت مكانتها وبدأت بالتوسع ومهاجمة والاعتداء على سواحل شمال غرب إفريقيا واحتلال المناطق الساحلية[2].

وبعدما اعتلى شارل الخامس الملقب بشارلكان العرش الإسباني مباشرة بعدما توفيت جدته إيزابيلا سنة 1504م ولقد استطاع الوصول إلى عرش المملكة نظرا لتعذر تولي أمه العرش بسبب إصابتها بمرض عصبي وقد استطاع شاركان الاستيلاء على ممتلكات أخرى في إيطاليا والبحر المتوسط وشمال إفريقيا ولقد اجتمعت تحت يده أربع ملكيات في وقت واحد عندما توفي والده فليب الجميل سنة 1506م انتقل إليه عرش سويسرا والنمسا وفي السنة نفسها توفي جده لأمه ملك قشتالة فاستولى على نابولي وصقلية[3].

المبحث الثالث: الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية.

المطلب الأول: دوافع الاحتلال الإسباني على السواحل الجزائرية

1- **الدوافع الدينية**: كانت الركيزة الأساسية التي انطلقت منها شرارة الحروب الصليبية والتي تزعمتها إسبانيا نهاية القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر نظير التعصب الديني والرغبة الجامحة لرجال الدين في محاولة منهم تنصير المسلمين في

[1] مدني محمد العيد يزيد محمد أمين موقف الدولة العثمانية القصبة المورسكية، مذكرة لنيل شهادة ماستر، قسم التاريخ جامعة البويرة، 2018، ص47.

[2] عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، 2006 ص ص 05، 06.

[3] محمد دراج ، المرجع السابق ص ص 23، 25.

شمال إفريقيا[1] إذ اعتبرت هذه الذريعة وليدة الصراع مع المسلمين خلال الاسترداد[2]، حيث أخذت صبغة دينية واضحة المعالم قادتها الكنيسة الكاثوليكية ممثلة في البابا ألكسندر السادس (1492-1503) الذي حرض جميع البلاد المسيحية لتوحيد إمكاناتها المادية والبشرية وجعلها تحت تصرف الملوك الإسبان لإبعاد خطر المسلمين[3]، ولتحقيق هذا الطموح كانت لهم الكلمة الأولى في توجيه سياسة الدولة ضد المسلمين في الأندلس وشمال إفريقيا على حد سواء عن طريق.

- تسويق خطابات الكراهية لتأجيج الرأي العالم الأوروبي ولتحقيق هذه الغاية أصدر البابا أمر يقضي بضرورة تدعيم الملوك الإسبان الذين فوضتهم الكنيسة بأنهم حماة المسيحية، وذلك يدفع الضريبة الصليبية CRasada والتي وجدت إقبالا واسعا حتى من الرهبان والقساوسة الذين أنفقوا من أموالهم على عديد الحملات التي اجتاحت السواحل الجزائرية خاصة[4]، وكان هذا بعد المعاهدة التي تمت بين فرديناند وإيزابيلا بدعم من الكنيسة التي باركت هذا الزواج ومنحنهم لقب الملوك الكاثوليك. في عهد البابا إلكسندر السادس فالروح الصليبية دفعت الكاردينال خيمينيس للقيام بمشاريع توسيعية في الجزائر، تنفيذا منه للوصية التي تركتها الملكة إيزابيلا 1504م بضرورة غزو إفريقيا والانتصار للدين المسيحي إذ حمل الكاردينال على عاتقه هذه الوصية وقام بتجهيز حملة عسكرية بهدف احتلال المرسى وبعدها وهران من ماله الخاص[5].

---

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، دار البعث للنشر والتوزيع، الجزائر، ص81.

[2] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 16

[3] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص14.

[4] محمد دراج، المرجع السابق ، ص ص 119، 120.

[5] نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن 10هـ/16م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،(2001-2002)، ص18.

2- الدوافع السياسة والاقتصادية:

توج الاستقرار السياسي الذي عرفته إسبانيا بتوحيد مملكتي قشتالة والأراغون في دولة واحدة وهي إسبانيا سنة 1479م تم بعدها الاستيلاء على زمام الأمور بيد من حديد يحمل السيف والإنجيل في أن واحد[1]، رغبة منهم في التوسع وبسط نفوذهم خارج الحدود التقليدية بالنسبة لإسبانيا وتحقيق الطموح بإنشاء إمبراطورية مترامية الأطراف يتزعمها الملك فريديناند وإيزابيلا منذ تحقيق الزواج السياسي[2]، فبدأت مخططاتهم بالتنفيذ في كل الاتجاهات شمالا وجنوبا وغربا مستغلين في ذلك حالة التفكك والانحلال التي تعيشها دول المغرب الإسلامي[3]، فالمغرب الأوسط كان بدون حكومة يمكنها أن تسيطر على الوضع ، فكان على العموم عبارة عن مستنقع سياسي خاضع لكيانات ومدن منفصلة[4].

إضافة إلى مخاوف إسبانيا من خطر توسع العثمانيين الذي بدأ يهدد مصالحها في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فكثفت نشاطها الاستعماري على طول الساحل المغاربي واحتلال معظم مدنه الإستراتجية غير أن المشاكل داخل أوروبا وانشغالها باكتشافات العالم الجديد حال دون تأكيد هذه السيطرة بشكل دائم رغم احتلاله مدة طويلة[5].

أما اقتصاديا فقد دفعت التغيرات التي عرفتها أوروبا مطلع القرن السادس عشر كلا من اسبانيا والبرتغال إلى البحث عن موارد مالية أخرى خارج حدودهما، وما زاد

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص86.

[2] محمد دراج، المرجع السابق ، ص ص 128 ،129

[3] المدني، المرجع السابق ، ص 86.

[4] جون ب.وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830) تر: أبو قاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص23، 24.

[5] شافعي درويش، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية (2010-2011)، ص20.

من طمع إسبانيا بعد اكتشاف مناطق الذهب في العالم الجديد وذلك بحثا عن الأسواق لترويج منتجاتها[1]، مما دفع إلى احتلال السواحل المغاربية لموقعها الإستراتيجي إضافة إلى اعتبارها البوابة الرئيسية لإفريقيا جنوب الصحراء، تمر عبرها كميات ضخمة من السلع وبالتالي السيطرة على المراكز التجارية التي تتميز بها المنطقة كعناية وصوان واحتكار التجارة الخارجية للجزائر ومنها أعماق إفريقيا وبلاد السودان[2].

3- الدوافع العسكرية:

الشيء المتفق عليه أن حالة بلاد المغرب الداخلية والخارجية قد أنهكتها الحروب وتداعياتها أواخر القرن الخامس عشر وتحديدا بعد نكبة الأندلس وانهيار الحضارة الإسلامية هناك، فالنهاية التراجيدية للمسلمين بعد اضطهادهم والتنكيل بهم وإجبارهم على الخروج من بلداتهم، بحيث لم يكتف الإسبان بهذا وإنما نظموا حملات انتقامية ضد سكان مدن المغرب الإسلامي المطلة على البحر الأبيض المتوسط، انتقاما منهم على خلفية استقبالهم لإخوانهم الفارين من الاضطهاد الأوروبي الممنهج عليهم في إسبانيا[3].

وما زاد من حقد المغاربة على النصارى تلك القصص التي حملها المهاجرون معهم تروي مشاهد مروعة مارسها الإسبان ضدهم وإلى ضرورة نجدة إخوانهم العالقين هناك. وهذا ما دفعهم لشن غارات على السفن والسواحل الإسبانية انتقاما لأنفسهم ولإخوانهم المضطهدين في الأندلس[4]، فهذه الأعمال وصفها الأوروبيون بالقرصنة نظرا لما ألحقت بهم من خسائر تجارية وزعزعة أمنهم، مما دفع بإسبانيا إلى تنظيم حملات

[1] محمد دراج، المرجع السابق ، ص127.

[2] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص16.

[3] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 52

[4] محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 12،122.

عسكرية للقضاء على هذه المخابئ التي تهددهم، فسيطروا على المدن التي بها موانئ حيوية لشل حركة هؤلاء والقضاء عليهم[1].

المطلب الثاني: العدوان الإسباني على السواحل الجزائرية.

لقد سبق العدوان الإسباني على السواحل الجزائرية حملة جوسسة واسعة النطاق كانت بدايتها من المنطقة الغربية نزولا عند رغبة الملكة إيزابيلا التي استجابت لنصائح الكاردينال، إذ عينت فور سقوط غرناطة حاكم مدينة القلعة لورانزو دي باديا وكلفته بمهمة استطلاعية على مملكة تلمسان متنكرا في زي تاجر عربي لمدة سنة[2]، توصل في تقريره إن البلاد في حالة فوضى وضعف وهو ما أشار إليه بقوله:"أن البلاد في حالة يبدو أنّ الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة"[3].

أما جيرونيمو فيانلي التاجر الإيطالي الذي التقى بالكاردينال خمنيس وعرض عليه خبرته في ممارسة التجارة عبر شمال إفريقيا ونصحه أن تكون بداية الغزو من المرسى الكبير نظر لأهميته باعتباره البوابة الرئيسة للدخول إلى وهران وبجمع هذه التقارير شرعت إسبانيا في تنفيذ الخطة على الشكل التالي[4]:

1- احتلال المرسى الكبير:

سماه الرومان المرسى الزياني نظرا لأهميته[5] فهو يحتوي على أحسن المراسي في البحر الأبيض المتوسط وقع الاختيار عليه لقربه من السواحل الإسبانية وإشرافه

---

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص322.

[2] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج3، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص20.

[3] جون ب . وولف، المرجع السابق ، 24.

[4] كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران(2013-2014) ص ص 26،27.

[5] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق ، ص 15.

على مدينة وهران، تم الشروع في هذا الغزو رغم العجز المالي الذي كانت تعاني منه الخزينة الإسبانية التي أنهكتها الحروب في كل من غرناطة وإيطالية[1].

وقد تحملت الكنيسة تبعات هذه الحملة واعتبر الكاردينال خيمنيس الموجه وحتى المنفذ للمشاريع التوسعية الاسبانية على السواحل الجزائرية، بداية من المرسى الكبير كأول نقطة إنزال تحت نصيحة الجاسوس جيرونيمو فيانلي[2].

وانطلقت الحملة بمغادرة الأسطول الإسباني مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505م وكان يقوده دونرايموند دي قرطبة مكون من جيش قوامه خمسة آلاف رجل تحت إمرة القائد العام للحملة ديغو فرناند يزدي قرطبة[3]، وقد وصل الأسطول يوم 11 سبتمبر 1505م بعد ن اعترضته الرياح التي أخرت وصول الأسطول أكثر من أسبوع وجاء التأخير في صالح الحملة[4] ، لأن الأهالي الذين جاؤوا للدفاع عن المرسى قد تفرقوا بعد طول الانتظار تاركين قوة صغيرة من خمسة مائة مجاهد لحمايته، غير أن هذه الحامية لم تتمكن من صد الإبان ومنعهم من النزول إلى الساحل رغم المقاومة العنيفة انتهت باحتلاله يوم 23 أكتوبر 1505م[5] بعد أن استمرت المعارك بينهما قرابة شهرين، أدى ذلك بالمسلمين إلى الاستسلام بعد نفاذ كل وسائل المقاومة فخرجوا تاركين المدينة مفتوحة للمسيحيين[6].

---

[1] عبد القادر الفكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية 1505-1792، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، ص26.

[2] نجيب دكاني، المرجع السابق ، ص24.

[3] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص96.

[4] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص19.

[5] أسماء أبلالي، "التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م قراءة في الدوافع والنتائج"، **مجلة روافد للبحوث والدراسات**، ع2، 2017، جامعة غرداية، ص43.

[6] مارمول كريخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1984، ص324.

وما كاد خبر الاستيلاء يصل إلى إسبانيا حتى سادتها موجة من الفرح أعلن فيها العيد لمدة أسبوع ابتهاجا بهذا الغزو لأنه من بشائر النصر[1]، وبالتالي جعلت منه إسبانيا موقعا تنطلق منه قواتهم لتوسيع نطاق الاحتلال خاصة وهران التي كانت هدفهم الموالي[2].

2-احتلال وهران:

تعتبر أشهر مدن الغرب الجزائري، تحتوي على ثاني أهم ميناء ومنفذ تجاري بعد المرسى الكبير، إذ توجه أسقف طليطلة لغزو المدينة بجيش بحري يقوده الدون بيدرونافارو Pedro navarro[3].

أبحر الأسطول من ميناء قرطاجنة يوم 16 ماي 1509م ووصل إلى المرسى الكبير يوم 17 ماي، احتوت هذه الحملة الضخمة على عشر سفن من نوع Galero وثمانين مركبة نقل وعدد آخر كن السفن الصغيرة على متنها عشر آلاف من المنشأة وأربعة آلاف حصان وثمانمائة متطوع يتقدمه الكاردينال ورهبانه يدفعون الصليب[4].

وقد وقعت اشتباكات عنيفة على مشارف المدينة إلا أنه في الوقت الذي كانت فيه المعركة على أشدها قام اليهودي سطورا بفتح باب المدينة للإسبان بمساعدة الخائنين عيسى العربي وابن قانص، فتدفق الجيش داخل المدينة وقاموا بارتكاب مجزرة في حق الأهالي[5]، وكان ذلك وقت أبي قلمون الزياني الذي عجز عن الدفاع عنهم كليا وافتك الإسبان المدينة بسبب خيانة خائن[6]، أين أشرف الكاردينال على قتل نحو

[1]أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص101.

[2]عبد القادر الفكاير، المرجع السابق ، ص34.

[3]مارمول كربخال، المرجع السابق ، ص330.

[4]كاميلية دغموش، المرجع السابق ، ص33.

[5]أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص111.

[6]الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، تح: يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي 1990، ص211.

4000 و أسر 800 من الرجال وتحويل مسجدين إلى كنيستين[1]، وبعد نكبة مدينة وهران سارع ملوك بني زيان إلى إعلان الولاء والخضوع للإسبان كما أعلنت مدن تنس، شرشال، مستغانم ودلس والجزائر هي الأخرى ولائها للإسبان والرضوخ لشروط دفع الجزية لهم[2].

3- احتلال بجاية:

اشتدت وطأة الاحتلال بعد السيطرة على العديد من المدن الساحلية أين اتجهت أنظار الإسبان إلى الناحية الشرقية صوب مدينة بجاية التي كانت تخضع لأمير حفصي يدعى عبد الرحمن[3]، أسندت المهمة إلى الكونت بيدرونافارو بقيادة الأطول الذي أقلع في 01 جانفي 1505م مكون من 20 سفينة كبيرة على متنها عشرة آلاف مقاتل معهم مدفعية ضخمة وصل الأسطول إلى بجاية يوم 05 جانفي وبنزول الإسبان إلى البرّ أصبح وضع المدينة أشد خطورة في حرب غير متكافئة ارتكب فيها الإسبان مجزرة كانت الحصيلة فيها ذبح نحو 4100 شخص[4].

وقد حاول المجاهدين المسلمين الدفاع عن مدنتهم بكل ما أتيحوا من قوة إلا أنهم فشلوا أمام القوات الإسبانية[5]، على عكس حاكمها الحفصي الذي فر إلى الجبل وهو ما أشار إليه الوزان بقوله: " **البجائيون ولاسيما الأمراء منهم لم يشهروا الحرب على أحد وقد ظهر جبنهم جليا إلى حد أنهم عندما جاءهم الكونت بيدرو نافارو فروا**

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص324.

[2] جمال قنان، المرجع السابق، ص18.

[3] يحي بوعزيز، الموجز ..ص09.

[4] المدني ، المرجع السابق ، ص120.

[5] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق ، ص17

جميعا إلى الجبل وعلى رأسهم الملك عبد الرحمن الحفصي حاملين معهم كل ما يملكون دون المقاومة على المدينة وأخذ الكونت المدينة ونهبها"[1].

وبمجرد احتلال بجاية دق ناقوس الخطر في شمال إفريقيا بسقوط المدن الساحلية الواحدة تلوى الأخرى إذ تم احتلال مدينة عنابة في نفس السنة دون مقاومة تذكر وتركوها حامية لحراستها[2].

4- خضوع مدينة الجزائر:

بعد تعرض كل من وهران وبجاية للاحتلال الإسباني أصاب كان مدينة الجزائر هلع شديد خوفا من ملاقاة نفس المصير الذي حل بإخوانهم في المدن المجاورة ونظرا لافتقارهم للمعدات العسكرية والذخيرة لمجابهة العدو، عقد مجلس أعيان المدينة حاكمها سالم تومي اجتماع تمت المصادقة فيه على توقيع معاهدة استسلام وتجنب الوقوع تحت وطأة الحصار[3].

وعلى إثر ذلك اتجه وفد يضم عدة شخصيات ومنهم سالم تومي إلى القائد بيدرونافارو المتواجد في بجاية اتفق الطرفان على عقد السلام بينهما مقابل تعهد الجزائريون بإطلاق سراح الأسرى النصارى وأن لا يعترض الجزائريون لسفن الإسبان وأن يدفع الجزائريون نف المقدار من المال الذي كانوا يدفعونه لملك بجاية اعترافا بالتبعية وأن يسافر وفد منهم إلى إسبانيا لعقد الاتفاقية النهائية[4].

---

[1] الوزان، المصدر السابق، ص51.

[2] أسماء أبلالي، المرجع السابق، ص 45.

[3] كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص23.

[4] المدني، المرجع السابق، ص128.

وفي سنة 1511م سافر الوفد الجزائري إلى إسبانيا وعلى رأسهم حاكم مدينة الجزائر شخصيا حيث[1]، عقدوا معهم هدنة لمدة عشر سنوات مقابل الخراج فقبل الإسبان ذلك[2]، ليقوموا بعدها ببناء قلعة بحرية على بعد 300م على مدينة الجزائر على أنقاض حصن صغير للأندلسيين نهاية القرن 16م حملت فيما بعد اسم قلعة البنيون[3]، وبقي الوضع على حاله إلى أن دخلها الأتراك .

-لقد ساهم الضعف والتفكك والانحطاط الذي وصلت إليه البلدان المغرب الإسلامي أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م جعله لقمة سائغة أمام الاسبان الذين لم يترددوا في ضرب سواحلها بشن حملات عسكرية، والتي اختلفت أسبابها ودوافعها خاصة من المغرب الأوسط

[1] محمد دراج، المرجع السابق ، ص115.

[2] الوزان، المصدر السابق ، ص38.

[3] كورين شوفالية، المرجع السابق ، ص24.

الفصل الثانـي:

العلاقات الجزائرية الاسبانية

بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

المبحث الأول: الإخوة بربروس وتحرير السواحل.

المبحث الثاني: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وتداعياته.

المبحث الثالث: الصراع الجزائري الاسباني قبل الحملة.

المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس وتحرير السواحل

المطلب الأول: الإخوة بربروس في حوض البحر الأبيض المتوسط

1- أصل الإخوة بربروس:

عندما كانت الجزائر تعيش أصعب فترة في تاريخها بسبب الهجمات الإسبانية واحتلال معظم سواحلها، ذاع صيت أربعة إخوة وهم عروج وخير الدين وإسحاق ومحمد إلياس، هؤلاء الإخوة بربروس أبناء يعقوب بن يوسف ذو الأصل التركي الذي كان يقطن جزيرة مدلي (ميتلان) في الأرخبيل اليوناني، امتهن هو وأبنائه خاصة عروج وخير الدين صناعة وبيع الفخار[1]، وفي إحدى خرجات عروج في عرض البحر للبيع وقع في قبضة فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يسيطرون على جزيرة رودس[2]، أما أخوه إلياس فقد تم قتله[3]، وبعد عامين قضاها عروج في الأسر تم استخدامه كمجدف في السفن واستطاع بفضل ذكاءه الفرار من قبضتهم[4]، وتوجه نحو مصر أين عرض عليه السلطان المصري الدخول في خدمته ولما وافق على طلبه عينه قائد للأسطول الذي كان متوجه إلى الهند لمواجهة البرتغاليين لكنه رفض هذا الطلب لأنه كان لا يرغب في العمل خارج مياه البحر الأبيض المتوسط[5].

---

[1] يحيى بوعزيز، الموجز...، ص 70.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 43.

[3] يحيى بوعزيز، العلاقات...، ص 33.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 43.

[5] محمد دراج، المرجع السابق، ص 155.

2- نشاطهم في البحر الأبيض المتوسط:

مارس الإخوة بربروس القرصنة في عرض البحر الأبيض المتوسط واتخذوا منها مصدر لرزقهم، حيث كانوا يقومون بالسطو على السفن والمراكب التجارية التابعة للأوروبيين هذا من جهة ومن جهة أخرى كانوا يقومون بشن غارات على سواحلها[1] وكانت هذه الغارات ناجحة، ففي إيطاليا استولى عروج على سفينتين محملتين بالبضائع الثمينة التابعتين لدولة البابا واستولى على سفن أخرى إيطالية، ومن خلال غنائمه استطاع تكوين أسطول صغير مكنه من مواصلة أعماله في عرض البحر، إلى أن وصل إلى جزيرة جربة التونسية التي اتخذ منها مركزا لنشاطه[2] ونقطة انطلاق نحو الأندلس لنصرة المسلمين هناك حيث تم إجلاؤهم إلى شمال إفريقيا[3].

وبعد هذا ازدادت شهرته وعظم شأنه نظرا لشجاعته وقوته في إنقاذ عدد كبير من الأندلسيين المضطهدين من طرف الإسبان فكثر أتباعه وازداد عدد قطع أسطوله[4]، وفي عام 1510م سمع السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد ببطولات الإخوة بربروس فأراد أن يستعين بهم لحماية الدولة وتزويد الخزينة بالغنائم التي يدفعونها بعدما منح لهم حلق الوادي[5]. وعندما زاد الضغط الإسباني على مدينة بجاية التي كانت تابعة للحفصيين إذ استنجد السلطان أبو عبد الله محمد بالإخوة بربروس لطردهم[6].

---

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص 20.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 158.

[3] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص 39.

[4] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 24.

[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 158.

[6] يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 11.

المطلب الثاني: استنجاد أهالي بجاية بالإخوة بربروس وتحرير جيجل

لم يكن ليتواجد الأتراك لولا غزو الإسبان لمدنها الساحلية مستغلين الضعف والانحطاط الذي عرفته الجزائر أواخر عهد الدولة الزيانية التي لم تعد تملك من النفوذ إلا على تلمسان وبعض الأجزاء من المناطق الغربية، لذلك عجزت عن مقاومة الغزو الإسباني وأجبرت على عقد الصلح معهم سنة1512[1].

1 - المحاولة الأولى لتحرير مدينة بجاية:

بعدما شاعت بطولات عروج وخير الدين في كل أقطار المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، أصبحا بعدها يمثلان قوة ساحلية عظيمة تتوجه نحوها الأنظار، رأى المجاهدين في بجاية ومن حولها في جبال القبائل وفي قسنطينة أن الله منح لهم فرصة التخلص من الاحتلال الإسباني فأرسل حاكمها أبو بكر الحفصي والعلماء وأعيان من أهل بجاية يستصرخونه من أجل إنقاذهم من يد العدو[2]، وافق عروج على طلبهم وبدأ في العمل من أجل استرداد مدينة بجاية سنة 1512م[3]، حيث جاء على رأس 12 قطعة بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة الحربية وألف تركي وبعض الأهالي، واصطدم في معركة بحرية قبالة بجاية مع السفن الإسبانية، وقد أسفرت هذه المعركة عن تمكن الإسبان من إغراق سفينتين والاستيلاء على أخرى، وأيضا قام عروج بقصف تحصين رئيسي من تحصينات بجاية والمتمثل في قلعة بيدرو نافارو، وسمي هذا البرج نسبة للقائد الذي احتل بجاية سنة 1510م[4].

---

[1] عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط 1، دار الريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 8.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 162.

[3] أحمد سالم، المرجع السابق، ص ص 86 ، 87.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 44.

لقد فشل الإخوة بربروس هذه المرة في تحرير مدينة بجاية بسبب التحصينات الإسبانية القوية وتعاون أمراء قلعة بني عباس مع الإسبان[1]، كما أسفرت أيضا هذه المعركة عن قطع ذراع عروج بعد سقوط قذيفة عليه أين تمت معالجته بعد عودته إلى تونس[2].

2- تحرير مدينة جيجل:

رغم فشل الإخوة بربروس في محاولتهم الأولى لتحرير بجاية إلا أنهم استفادوا من هذه التجربة باختبار مدى قوة التحصينات الإسبانية في المناطق المحتلة بعد اقتناع عروج أن بجاية محاصرة بشدة لأنها تمثل القاعدة الأولى للاحتلال الإسباني في الشرق الجزائري[3]، كما رأى عروج أن وجوده في حلق الوادي بتونس غير عملي باعتبار بعد المسافة عن منطقة نشاطه ولذلك قرر الإخوة بربروس البحث عن قاعدة جديدة تضمن لهم اللجوء إليها وقت الحاجة، ووقع الاختيار على مدينة جيجل لفتحها والتي تبعد حوالي 102 كيلو متر غربي بجاية[4]، وما يمكن ذكره أن مدينة جيجل كانت خاضعة للجنويين منذ عام 1260م وجعلوا من مينائها مركزا تجاريا بين إفريقيا وإيطاليا ليتحول بداية من 1513م إلى احتلال عسكري بقيادة أندري دوريا الذي كان في خدمة فرنسا وبعد أن بدا المركز بفقد أهميته بسبب سيطرة الأهالي عليه، تدخل ووضع بها حامية تعمل لحساب جنوة[5].

---

[1] خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 43 ، 44.

[2] يحيى بوعزيز، الموجز...، ص 11.

[3] محمد دراج، المرجع السابق، ص 191.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 165.

[5] يحيى بوعزيز، الموجز...، ص 12.

وفي عام 1514م وبطلب من أهالي جيجل قدم الإخوة بربروس إلى المدينة بهدف تحريرها فنجد عروج عدد كبير من المجاهدين إلى جانب إخوته وعلى رأسهم خير الدين، فتمكنوا من طرد الجنويين وتحرير المدينة بعد الدخول معهم في معركة كبيرة حيث تمكن عروج من القضاء على الحامية وبعد ذلك ترك فيها 50 جنديا و 3 سفن[1]، ومن هنا اتخذها قاعدة انطلاق لتحرير الموانئ الجزائرية كبجاية ومدينة الجزائر، فأطلق السكان على عروج لقب سلطان جيجل[2].

3- محاولة تحرير بجاية للمرة الثانية والثالثة:

بعد الاستقرار في مدينة جيجل نظم عروج وأخيه حملة ثانية على بجاية سنة 1514م وحاصرها قرابة ثلاثة أشهر لكن الظروف لم تساعده مرة ثانية لأن ذخيرته نفذت لذلك طلب العون من السلطان الحفصي لكنه رفض تزويده بما يحتاجه[3] لأنه بدأ يتضايق من اتساع نطاق شهرة عروج وخير الدين وخشي على منصبه وعلى بلاده تونس منهما، إذ كان يعتقد أنه إذا استطاع عروج و خيرالدين الاستيلاء على بجاية وجيجل سوف يفكروا في الاستيلاء على تونس[4]، وفي مقابل ذلك وصلت الإمدادات إلى الحاميات الإسبانية بحيث قدر عددهم ب 14 ألف جندي وأمام هذه الإمدادات الهائلة والقوة الإسبانية لم يستطع الأخوان من فتح بجاية للمرة الثانية[5].

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، ط 7، الجزائر، ص 37.

[2] جون وولف، المرجع السابق، ص 30.

[3] يحيى بوعزيز، الموجز...، ص 12.

[4] مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 37.

[5] طاهر تومي، المرجع السابق، ص 33.

وفي سنة 1515م قام عروج بمحاولة ثالثة لإنقاذ بجاية حيث توجه مع مجموعة مجاهدين برا نحو المدينة أين كان الإسبان في انتظاره، فوجه عروج مدفعيته صوب القصر الصغير وأخذ يقصفها بكل قوة[1]. وبعد اصطدام الاشتباك قام المجاهدون باقتحام المدينة لكنهم اصطدموا بالقوات الإسبانية المحصنة مما فشل الهجوم[2] فاضطر الإخوة بربروس إلى الانسحاب إلى جيجل[3].

المطلب الثالث: جهود الإخوة بربروس في تحرير بقية المدن الجزائرية

1 -استنجاد أهالي مدينة الجزائر

بعد خمس سنوات من المعاهدة المهينة التي وقعها حاكم الجزائر سالم تومي مع الإسبان والتي لم يتخلص منها الجزائريون إلا بعد وفاة الملك فرديناند أين اعتبروا أنفسهم قد تحرروا من بنود هذه المعاهدة، لذلك لما كان عروج في مدينة جيجل استغاث به سكان وأعيان مدينة الجزائر وعلى رأسهم سالم تومي على دعوتهم مع جيشه فتوجه أولا إلى شرشال فحررها[4] وبعدها توجه مباشرة إلى مدينة الجزائر أين استقبل أتباعه استقبال الأبطال[5] وأول شيء قام به هو محاولة تحرير قلعة البنيون والتي كانت نقطة مهمة لاحتوائها على مدافع إسبانية موجهة نحو المدينة وبهذا

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 169.

[2] بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470 – 1547)، ط 1، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، ص 91.

[3] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 169.

[4] نور الدين عبد القادرن صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر، ص ص 49 ، 50.

[5] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 – 1824)، تع وتق وتح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 40.

تستطيع قصفها متى أرادت[1] لكنه فشل في استرجاعها من الإسبان الذين تحصنوا بها وهذا بعد 20 يوما من قصفها، ويرجع ذلك إلى ضعف مدفعيته الأمر الذي ترك خيبة كبيرة لدى سكان مدينة الجزائر[2] وإثر تصرف جنود عروج بطريقة غير لائقة مع السكان دبر سالم تومي رفقة البعض من الأعيان مؤامرة ضده، لكن عروج تفطن لهذه المكيدة التي تحاك عليه فكان هو السباق لقتل تومي في حمام منزله وأعلن نفسه سلطان على الجزائر[3].

أما ابنه يحيى فقد فر إلى وهران أين استنجد بالإسبان وبين لهم خطر استقرار الأتراك بمدينة الجزائر[4] فدبر هو وبعض الأهالي الجزائريين الذين أرادوا الانتقام لشيخهم التومي مؤامرة مع الإسبان ضد عروج حيث اتفقوا معهم على إحراق سفن عروج الراسية بالميناء، وعند خروج الأتراك لإطفائها يغلقون أبواب المدينة فلا يمكنهم الدخول وفي هذه الأثناء يسرع الإسبان إلى المدينة، وهنا يقوم العملاء بفتح الأبواب ويقتلون عروج ومن معه وينصبون يحيى بن سالم التومي سلطانا عليهم[5]، ولكن عروج كان أذكى منهم وتفطن لمؤامرتهم ففي يوم الجمعة وأمام المسجد كان جنوده ينتظرون الخونة الذين ألقوا القبض عليهم وتم قتلهم وبهذا فرض الأمن والتحقت به بعض القبائل التي أعلنت طاعتها وولائها له كبلاد القبائل ودلس ومليانة[6].

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 173.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 47.

[3] عمار عمورة، المرجع السابق، ص 89.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 95.

[5] محمد دراج، المرجع السابق، ص 213.

[6] طاهر تومي، المرجع السابق، ص 36.

وعلى إثر هذه الأحداث قامت إسبانيا في 30 سبتمبر 1516م بإرسال حملة نظمها الكاردينال كسيمانس (خمينيس)، تكونت من ثلاثة آلاف عسكري بقيادة الأمير ديقو دي فارا[1]، حيث تركهم عروج حتى نزلوا إلى البر ثم أخذ بمناورات أرهقتهم وقد اغتنم تقهقرهم وظهور رياح شمالية[2] فتمكن من إلحاق هزيمة نكراء بهم حيث قضى على العديد منهم وأسر ما يقارب ألف وخمسمائة رجل[3]، وقد أدى هذا النصر المحقق إلى رفع معنويات المجاهدين وفرح السكان به، اما القوة الإسبانية ركبت سفنها وعادت أدراجها تجر أذيال الخيبة والهزيمة[4]

2-تحرير تلمسان واستشهاد عروج:

بعد الانتصارات التي حققها الإخوة بربروس ضد الجيش الإسباني طلب سكان مدينة تلمسان التوجه إليهم من أجل طرد الإسبان[5]، وقد جاء هذا الطلب بعدما توفي سلطان تلمسان أبو عبد الله محمد واستيلاء أخيه أبو حمو الثالث عام 1516 م على احكم مغتصبا إياه ابن أخيه أبو زيان المسعود الذي يعتبر الوريث الشرعي وزج به في السجن وراح يتحالف مع الاسبان مما اثار كراهية السكان وفي عام1517م طلب أهالي تلمسان من عروج طرده من السلطة وتسليم العرش لابو زيان المسعود[6].

[1] عمار عمورة، المرجع السابق، ص 89.

[2] يحيى بوعزيز، الموجز...، ص 14.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص 47.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص ص 99 – 101.

[5] مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 307.

[6] طاهر تومي، المرجع السابق، ص39.

_ وافق عروج على طلبهم وتوجه نحو تلمسان في نفس السنة[1] حيث قاد قواته عبر الهضاب الداخلية تجنبا للاصطدام بالحاميات الإسبانية المنتشرة على محيط وهران وعند وصوله إلى قلعة بني راشد التي اتخذها قاعدة له[2]، ولما وصلت أنباء سير عروج إلى أبو حمو الثالث بتلمسان

فر هذا الأخير إلى فاس ثم إلى الحامية الإسبانية بوهران وكان هذا عقب انهزام جيشه أمام عروج[3] في ضواحي سيدي بلعباس الذي كان يتألف من تسعة آلاف رجل ودخل عروج تلمسان بعد مساعدة سكانها له وأعاد حاكمها ابي زيان المسعود للحكم [4].

ولكن لما بدأ جيشه يتصرف بعنف اتجاه سكان تلمسان أثار ذلك غضبهم مما جعلهم وحاكمهم أبي زيان يتآمرون عليه، لكنه سرعان ما اكتشف ذلك مما جعله يقوم بإعدامه [5].

_ لقد استطاع أبو حمو الثالث شد انتباه الإسبان إلى خطورة الأتراك فطلب من حاكم وهران الإسباني الذي طلب من ملك الإسبان شارل الخامس تزويده بالإمدادات العسكرية[6]، وقد كان له ذلك، حيث أرسل شارل الخامس تعزيزات بلغ تعدادها قرابة عشرة آلاف رجل في سبتمبر 1517م، ليشرع الماركيز دي كومبارس بالهجوم بمساندة

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 55.

[2] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 102.

[3] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 48.

[4] نيقولاي ايفانوف، المرجع السابق، ص 103.

[5] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 62.

[6] جون ب وولف، المرجع السابق، ص 31.

فرسان أبو حمو الثالث الذين قطعوا كل طرق المواصلات من مدينة الجزائر[1]، كما تمكن الإسبان من قتل أخ عروج إسحاق في قلعة بني راشد عام 1518م[2].

أما عروج فقد بقي في تلمسان ما يقارب سنة أقام خلالها تحصينات وأخضع قبائل بني سنان وشرع في مفاوضات مع ملك فاس، أما أبو حمو والإسبان فبعدما تمكنوا من السيطرة على قلعة بني راشد جهزوا حملة ساروا بها إلى تلمسان[3]، فضربوا عليها حصارا دام 6 أشهر تمكنوا بفضله من اقتحام أسوار المدينة بعد قصفها بالمدفعية، هذا ما جعل عروج ينسحب إلى قلعة المشور[4]، وفي ماي 1518م عندما نفذت ذخيرة عروج خرج هو ومجموعة من أتباعه ليلا مخترقين التشكيلات الإسبانية التي كانت على علم بخروجه وقامت بتتبعه وقتله في منطقة سيدي موسى قرب ريو سالادو[5]، أين تم قطع رأسه وإرساله إلى إسبانيا وتم الطواف به في معظم مدن أوروبا أما جلبابه الذي كان يلبسه فقد أرسلوه إلى كنيسة القديس جيروم حيث اتخذوها شارة لهم[6].

---

[1] نيقولاي ايفانوف، المرجع السابق، ص 103.

[2] محمد الصالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، تح: يحيى بوعزيز،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 26.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص 48.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 104.

[5] نيقولاي ايفانوف، المرجع السابق، ص 103.

[6] يحيى بوعزيز، الموجز ... ص 15.

المبحث الثاني: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وتداعياته

المطلب الأول: قيام الحكم العثماني في الجزائر

بعد استشهاد عروج وجد خير الدين نفسه في وضعية حرجة بين جموع من الأعداء الذين يحيطون به من كل جانب، ففي الغرب بني زيان وحلفائهم الإسبان في وهران، وفي الشرق بنو حفص إضافة إلى الإسبان خارجيا، الذين كانوا يريدون الإطاحة به ويتحايلون الفرص للقضاء عليه، كما أن قاعدته الشعبية كانت محدودة بادئ الأمر على عكس أخيه، وخاصة مع زعماء القبائل الذين كانت الروابط معهم شبه منعدمة مما أجج الوضع بحدوث تمردات شهدتها كل من تنس، شرشال وبلاد القبائل بزعامة أحمد ابن القاضي مما جعله يدرك ضعف مركزه السياسي وترسانته العسكرية في مواجهة كل هذه الأخطار في الداخل والخارج لوحده[1]، فهذه الأحداث التي تركت أثرا بالغا ومقلقا لدى خير الدين جعلته يفكر بطريقة جدية في ترك الجزائر.

لكن ولما عزم على مغادرة الجزائر نحو إقليم الروم من أجل مواصلة الجهاد[2]،طلب منه علماء وصلحاء مدينة الجزائر البقاء لكنه رفض مخاطبا إياهم حسب ما ورد في كتاب غزوات أنه قال لهم" ... **أنا بقيت في بلادكم منفردا غريبا لا ناصر لي ولا معين وقد رأيتم ما وقع من سلطان تلمسان وما أجلب به علينا من النصارى...**"[3]، وقد رد عليه أعيان الجزائر برفض قرار المغادرة مخاطبين إياه بقولهم:

[1]عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 24.

[2]محمد بن محمد بن عبد الرحمان التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائريين حين أغارت عليهم جنود الكفرة، مخطوطة المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 2523، ص 15.

[3]عائشة غطاس، المرجع السابق ص24.

" أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والدب عن الضعفاء أهلها ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو"[1].

وبعد هذا الموقف التاريخي من طرف أعيان مدينة الجزائر جعل خير الدين يتخلى عن فكرة الرحيل واقترح عليهم فكرة التحالف مع قوة قادرة على منح الإضافة، فكانت الخلافة العثمانية هي القوة الإسلامية الوحيدة التي يمكنها ذلك[2]، إذ خاطبهم خير الدين قائلا:" **ظهر لي الرأي أن نصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم**[3]"[4]. في إشارة منه إلى ضرورة إلحاق بلدهم بالخلافة العثمانية.

فرضي أهل المدينة بهذا العرض بكل ارتياح، لتوفر لهم هذه الأخيرة الحماية وكل ما يحتاجونه من دعم في المال والسلاح والعتاد والرجال لمواجهة العدو، ويأتي إصرار سكان الجزائر على بقاء خير الدين لثقتهم فيه وكذلك الموقف راجع لحنكته السياسية التي استطاع بها إقناعهم على ضرورة الانضمام للدولة العثمانية، فالأخطار مفتوحة عليهم من كل الجهات وخاصة درايته وتبصره بالنوايا الخبيثة للإسبان المتربصين بكل الشمال الإفريقي مثيرا مخاوفهم من ذلك[5].

---

[1] محمد بن عبد الرحمان التلمساني، المصدر السابق، ص15.

[2] صالح حيمر، المرجع السابق، ص 40.

[3] هو السلطان سليم الأول، عاشر ملوك آل عثمان، ولد بتاريخ 875 هـ وتوفي في 926 هـ . 1520م، بعدما بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج توسعاتها ومنها الجزائر التي انضمت إليها بداية من 1519 م. أنظر محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط 2، محمد أفندي للنشر والتوزيع، مصر 1896 ص 73

[4] محمد بن عبد الرحمان التلمساني، المصدر السابق، ص 15.

[5] محمد لعباسي، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خير قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين، المؤلف مجهول، من(910 هـ . 1512 م / 953 هـ . 1546 م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2005 . 2006، ص 33.

وبعد الاجتماع مع كبار الرأي في الجزائر قام خير الدين بإرسال وفد إلى السلطان سليم الأول الذي كان متواجدا بمصر، وبعد عودته إلى إسطنبول توجه إليه الوفد حامل الرسالة باسم القضاة والخطباء والفقهاء والأئمة والتجار بقيادة أبو العباس أحمد بن القاضي[1] وفي أوائل ذي القعدة عام 25 هـ الموافق ل 26 أكتوبر 1519م[2]، تم عرض أبعاد القضية على السلطان سليم الأول ومطالبته بربط مصير الجزائر السياسي بالدولة العثمانية[3].

وتعد هذه الرسالة أول وثيقة رسمية تربط بين الطرفين، وبعد استقبال الوفد من طرف السلطان العثماني والذي اعتبر هذا العرض مفاجئة سارة قابلها بالموافقة على طلبهم، وبهذا تكون الدولة العثمانية قد بسطت نفوذها على منطقة إستراتيجية هامة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فأرسل السلطان إلى خير الدين فرمانا يخول له منصب الحاكم العثماني على الجزائر برتبة " بكلربيك"، كما أرسل إليه نحو 200 من جنود الإنكشارية[4]، إلى جانب دعمهم بالعتاد الحربي والذخيرة ونودي على المنابر

[1]أبو العباس أحمد بن القاضي: من كبار علماء الجزائر وأحد أعيان بيوتات الجزائر تولى القضاء ببجاية وفي سنة 1511 م أسس إمارة بالقبائل الكبرى وكانت قاعدتها كوكو، قتل في معارك بثنية بنت عائشة سنة 1525 م. أنظر أبي الراس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: محمد غانم، منشورات CMOXج1، 2005، ص 49.

[2]علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، "عوامل النهوض واسباب السقوط" ، دار التوزيع والنشر الاسلامية، مصر، 2001، ص 212.

[3]عبد المنعم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، الموسوعة الثقافية التاريخية والأثرية والحضارية «التاريخ الحديث»، دار الفكر العربي للتوزيع والنشر، القاهرة، 2007، ص 5.

[4]محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 20.

باسم السلطان وسكت العملة باسمه بالإضافة إلى فتح المجال أمام المتطوعين الراغبين في الذهاب إلى الجزائر مقابل امتيازات[1].

ومن هنا يعتبر تاريخ 1519م بداية اتحاد الدولة العثمانية مع الجزائر وبالتالي صنفت كأول إقليم في شمال إفريقيا تابع رسميا للدولة العلية وأصبحت الركيزة الأولى لحركة الجهاد في المنطقة ضد النصارى والقاعدة الأولى لتوسيع ممتلكاتها نحو باقي أقاليم الشمال الإفريقي تحت راية الإسلام[2].

المطلب الثاني: تداعيات تأسيس إيالة الجزائر

1- **داخليا**: كانت الجبهة الداخلية مشتعلة ولم تخلو من الدسائس والمؤامرات من بني زيان والحفصيين وبعض القبائل الصغيرة التي حاولت التمرد على الوضع الجديد إلا أن خير الدين مد نفوذه على المنطقة باسم الدولة العثمانية وقضى على الأطراف التي حاولت زعزعة الاستقرار وضمها تحت سيادته، وهذا بعد وضع دعائم الدولة الفتية بمساعدة الدولة العثمانية خاصة السلطان سليمان القانوني[3]، وتم في هذه الأثناء التحرير الفعلي لعديد السواحل الجزائرية من قبضة الإسبان أهمها: تحرير صخرة البنيون عام1529م والتصدي لعديد الحملات ولم يبقى من الاحتلال الإسباني في بداية الوجود العثماني إلا المرسى الكبير ووهران التي تم تحريرها لاحقا.

كما ساهمت الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية تحرير تونس 1574م وطرابلس الغرب 1551م بشكل نهائي وضمها للدولة العثمانية[4]، وبعدها تفرغ خير الدين لتنظيم شؤون

[1] عبد المنعم الجميعي، المرجع السابق، ص ص 6،7.

[2] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 213.

[3] المرجع نفسه، ص 213.

[4] طاهر تومي، المرجع السابق، ص 53.

دولته الإدارية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية بمساعدة أعيانه جعل من مدينة الجزائر مركزا للسلطة والعاصمة السياسية للإيالة نظرا لموقعها الهام الذي منحها مكانة دولية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

وبتمتين الجبهة الداخلية اكتسبت الجزائر هيبة دولية وقوة جعلتها تمثل خط الدفاع الأول لمجابهة الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي[1].

2- **خارجيا**: حقق الالتحاق الرسمي للجزائر بالدولة العثمانية أهداف سياسية وأخرى عسكرية إذ تم تأميت حدود مصر الغربية بعد توسيع دائرة النفوذ في شمال إفريقيا دون أي تبعات مالية أو نفقات عسكرية مكلفة مثل التي تحملتها في المشرق " مصر وبلاد الشام"[2].

وتبعا للظروف المحيطة بالجزائر وضعت كولاية ذات طابع خاص عرفت فيما بعد بنيابة الجزائر نظرا لموقعها الإستراتيجي الهام الذي حولها لقاعدة للوجود العثماني في الحوض الغربي للبحر لأبيض المتوسط، إذ أوكلت لها مسؤولية إدارة شؤون الحكم في طرابلس الغرب بعد ضمها لأملاك الخلافة العثمانية، وكذلك كلفت بمهمة إلهاء الإسبان عن المشاركة في حروب أوروبا ضد الدولة العثمانية بالتصدي للعدوان الإسباني على سواحل شمال إفريقيا[3].

إضافة إلى هذا فقد بذلت الجزائر المزيد من الجهود لضمان عمليات إنقاذ المسلمين في الأندلس، فهذه التطورات الحاصلة في الضفة الجنوبية من المتوسط نجمت عنها تهديدات مباشرة لمصالح القوى المتنازعة، وبالتالي سادت موجة عامة من

---

[1] محمد السعيد عقيب،"دور خير الدين بربروس في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر"، **مجلة البحوث والدراسات**، ع 13، 2012، جامعة الوادي، ص 300.

[2] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 83.

[3] طاهر تومي، المرجع السابق، ص ص54 ، 55.

الرعب في الأواسط الأوروبية وبالأخص إسبانيا، إذ اعتبرت هذا الانضمام بمثابة وصول الخطر العثماني ليس فقط بتهديد مصالحها في البحر الأبيض المتوسط، وإزالة قواعدها العسكرية فحسب، وإنما أبعد من ذلك بتهديد حتى وجودها بالأندلس والتي باتت حقيقة إعادة فتحها من طرف الأتراك العثمانيين يلوح في الأفق في كل حملة يقوم بها الغزاة وقد تأكد هذا المسعى حين عزم السلطان سليمان القانوني فتح روما بعد الاستيلاء على نابولي، خاصة بعد تعين خير الدين لقيادة الأسطول العثماني لاحتلال أولونيا على ساحل البحر الأدرياتيكي سنة 1537م[1].

إن بروز الجزائر كقوة إقليمية ساهمت في إفساد المخططات الإسبانية الرامية لاحتلال السواحل المغاربية وطرقه التجارية دون استثناء جعل من الساسة الإسبان وعلى رأسهم شارلكان مرتبكون من هذا المأزق في تثبيت وجودهم في أوروبا أو التفرغ لإيالة الجزائر التي أرقته بغاراتها على السواحل الإسبانية المتكررة وتصديه للبروتستانت في فرنسا[2].

المبحث الثالث: الصراع الجزائري الإسباني قبل الحملة

المطلب الأول :أهم الحملات وتحرير قلعة البنيون

1- **الحملات**:

1-1 **حملة هيقو دومنكادا على الجزائر عام1519م**: مثل حدث انضمام الجزائر إلى ممتلكات الدولة العثمانية ردا عنيفا من طرف الإسبان الرافضين لذلك وبتحريض من قائد وهران وحاكم تلمسان الذين عرضا على شارلكان الأخطار الناجمة عن بقاء الأتراك إذ أمر هذا الأخير نائبه في صقلية هيقو دومنكادا بتجهيز حملة

[1] محمد دراج، المرجع السابق، ص 237.

[2] طاهر تومي، المرجع السابق، ص 56.

عسكرية[1]ضمت نحو40 سفينة على متنها خمسة آلاف مقاتل، أبحروا من جزيرة صقلية أواخر جويلية، ليصل أمام مدينة الجزائر بتاريخ 17 أوت 1519 م[2].

و قد منيت هذه الحملة بالفشل بعد تصدي خير الدين وقواته لها وساعده في ذلك استدراج الإسبان للنزول إلى البر ثم قطع عليهم خطوط الإمداد، خاصة بعد تأخر وصول قوات أبي حمو الزياني المتحالف معهم إضافة إلى الخلاف القائم بين قائد الحملة ونائبه فكانت نهايتها هزيمة كبيرة حصيلتها آلاف الأسرى[3] وغرق أربعة آلاف رجل بعد محاولتهم الفرار[4].

1-2 **الحملة الإسبانية على شرشال**: بعد الانتصارات التي حققها خير الدين في الجزائر واسترجاعه لحصن البنيون قام شارلكان بتجهيز حملة ضد السواحل الجزائرية حيث شرع أندري دوريا خادم الإسبان بجمع أسطول من ميناء جنوة سنة 1530م[5]، وكان يضم عشرين سفينة تحمل ألفا وخمسمائة من المقاتلين الأقوياء متوجهين نحو الجزائر وكانت خطتهم تدمير الأسطول الإسلامي كمرحلة أولى[6]، ولما علم بوجود جزء من أسطول خير الدين بربروس في شرشال توجه إليها وقام بهجوم مباغث، هذا أدى إلى ذهول الأتراك وفروا إلى داخل المدينة وإلى القلعة[7]، وبعدها انتشر جنوده في المدينة وقاموا بتحرير مئات من السجناء المسيحيين ثم بدأ في نهب المدينة وما فيها[8].

---

[1]عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص ص75 ، 76.

[2]أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 206.

[3]محمد دراج، المرجع السابق، ص 242.

[4]وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تح: عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006،ص 44.

[5]صالح عباد، المرجع السابق، ص 53.

[6]بسام العسلي، المرجع السابق، ص 122.

[7]مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 357.

[8]جون ب وولف، المرجع السابق، ص 41.

فبعد انتشار الجنود الإسبان في المدينة بدأ سكان المدينة ينهالون عليهم من كل مكان أما مدفعية القلعة فكانت تقصف السفن، وقد تمكن سكان شرشال من إلحاق هزيمة نكراء بالإسبان الذين كبدتهم قتل ألف وأربعمائة واسر ستمائة جندي[1]، مما اجبر أندري دوريا على الفرار لكن خير الدين أمر أسطوله بملاحقته وتمت ملاحقته في عرض البحر وصولا إلى برشلونة لكن فشلوا في القبض عليه ولقد ولّد خبر انهزام اندري دوريا صدمة كبيرة لدى شارلكان[2].

أندري دوريا على الفرار لكن خير الدين أمر أسطوله بملاحقته وتمت ملاحقته في عرض البحر

1-3-الإحتلال الإسباني لمدينة هنين 1531م:

في سنة 1531م تلقى القائد الفارو دو بازان أمر بمهاجمة مدينة هنين واحتلال مينائها وتحطيم الأبراج وحرق الديار وتخريب ما يوجد فيها نظرا لموقعها الهام[3]، وقد خرج الفارو دي بازان في شهر أوت من مدينة مالقة على رأس أسطول قوامه ثلاثة عشر سفينة تحمل تجهيزات حربية ومؤونة كافية لمدة شهرين، كما توقف في وهران وتزود بمائتين وخمسون جندي من أفراد الحامية[4]. واستطاع احتلال المدينة تحت مقاومة سكانها بعدما خسروا 40 قتيلا و100 جريحا وترك بها حامية من سبعمائة رجل مزودين ب 27 قطعة من المدفعية[5].

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 224

[2] طاهر تومي، المرجع السابق، ص ص 88 . 89.

[3] المرجع نفسه، ص 89.

[4] عبد القادر فكاير، ص 44.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص 55.

وكان الهدف من احتلال مدينة هنين تطويق الجزائر من الغرب والشرق بالإضافة إلى حرمان تلمسان من منفذها البحري الوحيد الذي بقي خاضعا لها[1]، وبعد ثلاث سنوات من احتلال المدينة قرر ملك تلمسان تحريرها وضرب عليها حصارا جعل الإسبان ينسحبون منها لكن قاموا بتدمير كل معالمها كالأبراج والأسوار وكان هذا سنة 1534م[2].

1- تحرير قلعة البنيون سنة 1529م :

بعد اشتداد وطأة خير الدين على مدينة الجزائر نظير الانتصارات المحققة اتجهت أهدافه بعدها صوب قلعة البنيون التي شكلت خطرا كبيرا وتهديدا مباشرا للوجود الإسباني في مدينة الجزائر، لأن الجزائريين كانوا يعتبرون وجودهم داخل القلعة إهانة كبيرة لهم إضافة إلى ذلك فإن السفن الجزائرية كانت تواجه عدة عراقيل في الذهاب والإياب[3] خاصة مع بلوغ سفن الإيالة حوالي 20 سفينة ما يعني أن خير الدين كان بحاجة لميناء رئيسي لإرساء السفن ولضمان الأمن والسلام اضطر إلى هدم الحصن[4] الذي مر على بنائه 18 سنة.

و قد كان قائد القلعة أنذاك هو جون مارتن دي فرغاس ومعه حامية مكونة من 150 جندي من قدماء المحاربين تعيش ظروف صعبة من نقص التموين والماء الصالح للشرب، واستغلالا لهذا الوضع قرر خير الدين الهجوم على الموقع والاشتباك

[1] محمد دراج، المرجع السابق، ص 269.

[2] عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 45.

[3] المرجع نفسه، ص 86.

[4] محمد دراج، المرجع السابق، ص 261.

مع الحامية الإسبانية لمدة 15 يوم، تمكنت من خلالها المدفعية الجزائرية من هدم أبراج القلعة وإلحاق خسائر كبيرة بها[1].

وفي 27 ماي1529م اقتربت القوارب الجزائرية من القلعة وقامت بمحاصرة ما تبقى من الإسبان داخل القلعة وقد تمكنوا من التغلب عليهم جميعا حيث وقع في أيديهم 90 جنديا إضافة إلى 25 طفلا وامرأة، كما تم أسر قائد الحامية مارتن دي فرغاس، وبعد ذلك أمر خير الدين بتهديم القلعة ولتفادي أي مغامرة أخرى في المستقبل فقام بربط الجزيرة باليابس عن طريق جسر صخري بلغ طول رصيفه 200 متر وعرضه 25 متر وارتفاعه 4 أمتار[2].

المطلب الثاني: الصراع الجزائري الإسباني على تونس

كانت تونس خلال القرن 16م تخضع لسيطرة بنو حفص[3] وكان يحكمها " مولاي حسن" الذي عرف بشخصيته الظالمة، فقد قام بقتل 42 من أخواته البالغ عددهم 44 شخص[4] لم ينجو منهم سوى" الرشيد وعبد المؤمن"، كما عرف عنه إهماله لرعيته وضعفه في التنظيم وكره الشعب له وحبهم لأخيه" الرشيد" الذي إلى طلب المساعدة من خير الدين في حربه ضد أخيه الحسن[5]، لذلك سار خير الدين إلى

[1]صالح حيمر، المرجع السابق، ص 44.

[2]كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 48.

[3]بنو حفص: سلالة أمازيغية حكمت تونس شرق الجزائر وطرابلس ما بين 1229 . 1574. للمزيد ينظر إلى فريد أمجان، المرجع السابق، ص 191.

[4]المرجع نفسه، ص 191.

[5]بسام العسلي، المرجع السابق، ص 128.

تونس، حيث استهدف أولا بنزرت فدخلها بسهولة ومنها اتجه نحو حلق الوادي واستولى على قصبتها[1].

كما سقطت في يده المدن الساحلية عام 1534م أما السلطان مولاي حسن فقد تمكن من الفرار بعدها إلى الإسبان طالبا عونهم في استرجاع حكمه[2]، ولما قبل شارلكان طلبه، بدأ خير الدين يستعد للتصدي للقوة الاسبانية[3] حيث قام في الشتاء من نفس السنة بإرسال سفن لضرب السواحل الاسبانية أين حقق غنائم طائلة عند إغارته على سردينيا حيث رجع محملا ب 12الف دوقة ذهبية و475 أسير[4]، وفي 31ماي 1535م أبحر شارلكان من مدينة برشلونة نحو تونس على رأس أسطول وصف بالعظيم نظرا لعدده الكبير، حيث كان يتكون من30الف من المقاتلين الأشداء يحملهم 500 شراع، وصلوا تونس يوم 16 جوان 1535م[5]، أين كان خير الدين بانتظارهم على رأس قوة تضم7 ألاف من الأتراك و5 آلاف من التونسيين وهي قوة غير كافية مقارنة بأسطول شارلكان[6].

كما قام بتدعيم حلق الوادي بقوة قوامها 600 جندي ودافع عنها مدة شهر كامل خاصة وأنها بوابة تونس المطلة على البحر الأبيض المتوسط [7]، لكن شارلكان تمكن من الاستيلاء على حلق الوادي، مما جعل خير الدين ينسحب وجنوده، وتدعم صف الاسبان في 18 جويلية بحوالي 10 ألاف أسير مسيحي فروا من السجن وقاموا

[1] د لندة الأقرش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، 2003، ص 52.

[2] أحمد سالم، المرجع السابق، ص 124.

[3] مذكرة خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص ص 171، 172.

[4] المصدر نفسه، ص 172.

[5] احمد توفيق المدني ، المرجع السابق، ص 231

[6] بسام العسلي، المرجع السابق، ص130

[7] فريدون أمجان، المرجع السابق، ص193

بقصف القوات التركية، وعلى إثر هذه الانتصارات استعاد الحفصيون ملكهم تحت الحماية الاسبانية، وفي أوت 1535م أبرمت تونس معاهدة مع الأسبان نصت على مايلي:

1_ اعتراف الدولة الحفصية بتبعيتها لاسبانيا

2_ ملكية الاسبان المطلقة لمرسى حلق الوادي وقرطاجة ومدينة عنابة والمهدية

3_التزام السلطان بعدم دخول إلى تونس أي أحد من مهاجري الأندلس يهوديا كان أو مسلما [1].

وفي الأخير نستنتج أن الإخوة بربروس كان لهم الفضل في وضع الأسس الأولى لتكوين الدولة الجزائرية الحديثة و تثبيت الوجود العثماني بها كما سعوا جاهدين لتخليص الجزائر نهائيا من الاحتلال الاسباني .

[1] مبارك الميلي، المرجع السابق ص 59

الفصل الثالث:

حملة شارلكان الخلفيات والتداعيات

المبحث الأول: شارلكان ومحيطه الأوربي

المبحث الثاني: خلفيات حملة شارلكان

المبحث الثالث: الاستعدادات للحملة ووقائعها

المبحث الرابع: تداعيات الحملة على الجزائر واسبانيا

المبحث الأول: شارلكان ومحيطه الأوربي

المطلب الأول: لمحة بيوغرافية عن شارلكان

1- المولد والنشأة:

هو شارل الخامس ولد بمدينة غاند ببلجيكا في 24 فيفري 1500م، والده الملك فيليب الجميل وأمه جان المجنونه، ينسب شارل لجديه من أبيه وهما ماكسمليان ملك النمسا وماري ملكة بورغونيا، وجديه من أمه الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا[1]، لغته الأم هي الفرنسية ثم تحولت إلى الإسبانية فيما بعد وكان لا يتقن اللغة الألمانية رغم انتمائه إلى أسرة هابسبورغ، توفي عنه والده وهو في سن السادسة من عمره، وكانت أمه بعيدة عنه لأنها ظلت عاكفة في قشتالة بقصر (تورد سيللا)، ولذلك نشأ تحت رعاية عمته مارغريت النمساوية التي رسخت في ذهنه المثال الأرستقراطي لبلاد بورغونيا، وكان يفضل الاستقرار بالأراضي المنخفضة (هولندا)وإسبانيا ولم تكن له عاصمة محددة كما كان دائم التنقل بسبب مقتضيات الحرب الى ألمانيا و إيطاليا[2]. وعرف عنه منذ نشأته تمتعه بالذكاء والدهاء وكان طاغية من طواغي الكفرة لشدة تعصبه الديني وإخلاصه للكنيسة الكاثوليكية[3].

2- شارلكان ملكا ثم إمبراطور:

ورث شارلكان الملك بعد موت جده من أمه فرديناند ملك إسبانيا إذ توج تحت اسم شارل الأول عام 1516 م واتخذ برغوس قاعدة له، حيث اعتلى عرش إسبانيا ونافارو وصقلية ومالطا وسردينيا وسنه لم يتجاوز16 سنة، كما اشتدت قبضة حكمه على هولندا وأجزاء واسعة من الأراضي الأوروبية وبالتالي أصبح يحيط بفرنسا من كل جهة

---

[1] صالح حيمر، المرجع السابق، ص 17.

[2] جان بيرنجيه وآخرون، المرجع السابق، ص ص 323 ، 324.

[3] محمد الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690/ 1691 م)، تح: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط 1، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص 74.

الأمر الذي جعل ملك فرنسا فرانسوا الأول ينافسه على ملك ألمانيا[1]، وكان يساعده في التسيير فريق مصغر من الوزراء، تاركا أكبر قدر من الاستقلالية للبلدان الخاضعة لسيطرته، كما اعتمد على خدمات أفراد عائلته مثل عمته مارغريت وشقيقته ماري وشقيقه فرديناند وزوجته إليونور البرتغالية وابنه الدون فيليب فيما بعد[2].

فإلى جانب هذه التركات التي كانت بحوزة شارل ملك إسبانيا الشاب إلا أن طموحه كان أكبر من ذلك إذ كان يتطلع إلى اعتناق التاج الإمبراطوري، وفي حدود سنة 1519 م توفي جده لأبيه الإمبراطور ماكسمليان، الذي ترك فراغا سياسيا كبيرا في القارة الأوروبية وحسب الأعراف فإن حكم الإمبراطورية لم يكن وراثيا، إذ ترشح لتولي هذا المركز كل من فرانسوا الأول ملك فرنسا وهنري ملك إنجلترا وشارل ملك إسبانيا، فتخوف الشعب الألماني من تولي فرانسوا الأول هذا المنصب، لأن ذلك سوف يهدد نفوذهم في إيطاليا، كما تم استبعاد هنري لضعف مركزه لتولي منصب إمبراطوري ورجحوا الكفة لصالح شارل ملك إسبانيا لأنه حفيد ماكسمليان إضافة إلى قوة شخصيته وبناء على هذا أقر مجلس الدين يوم 5 جويلية 1519 م انتخاب شارل بمدينة فرانكفورت إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية المقدسة[3] تحت اسم شارل الخامس إذ جمع لنفسه ملك إسبانيا والنمسا ومملكة نابولي وجمهورية جنوى وفلورنسا وجزيرتي مينورقا وصقلية إضافة إلى أقاليم في شمال إفريقيا (وهران) وكذا بلدان أمريكا والعالم الجديد وبالتالي أصبح ينطوي تحت لوائه سبعة ملوك وأمراء[4].

[1] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص 180.

[2] جان بيرنجيه، المرجع السابق، ص 324.

[3] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، مصر، 1999، ص 96.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 144.

المطلب الثاني: شارلكان وعلاقاته مع الدول الأوروبية (الصراع مع فرنسا)

بعد تحقيق شارل الخامس لنفسه لقب الإمبراطور والاستيلاء على أجزاء واسعة من الأراضي داخل القارة الأوروبية وخارجها قلب بها موازين القوى، بدأ يفكر في ربط أملاكه على حساب فرنسا وساعده في ذلك الظروف الجغرافية المواتية لذلك بعد احتمالية تفكك فرنسا، فيتم بعدها ربط إسبانيا من جهة والأراضي المنخفضة وفرانش كومتيه من جهة أخرى، ومن أجل هذا أقدم على خطوة مهمة إذ عقد اتفاقا مع الثائر الفرنسي القائد العام لجيوش فرنسا الدوق (دي بريون) لمساعدته في ربط المزيد من الممتلكات بإسبانيا[1] ولكنه وجد صدا عنيفا من فرانسوا الأول الذي كان يصله الدعم لمواجهة شارلكان من الدولة العثمانية المتحالفة معه[2]، والذي اخذ ذريعة وراثة عرش ميلان لإعلان الحرب على إسبانيا، وفي ظل هذه الأوضاع المتوترة زاد قلق فرنسا من فقدان موقعها في شبه الجزيرة الإيطالية وبترها من مقاطعة برجنديا التي كانت ضمن حدودها[3].

وتواصل أمد الصراع بينهما بعد تشكل اتفاقية معادية لفرنسا في إيطاليا تضم البابا ليو العاشر وشارل الخامس وملك إنجلترا في نوفمبر 1521م وتستهدف تصفية نفوذ الفرنسيين في إيطاليا، وكان ذلك بعد وقت قصير من محاولة فرانسوا الأول اقتحام ميلان ولكنه اصطدم بجيش الحلف المعادي في بافيا بتاريخ 24 فيفري 1525 م وكانت هذه المعركة ضربة قاضية وجهت لفرنسا بعد اسر فرانسوا الأول لأنه كان يمثل كرامة شعبه وعزته وقد تم نقله الى إسبانيا أين وقع معاهدة مدريد المهينة في 14 جانفي 1526 م[4].

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار محمود جمال الدين، المرجع السابق، ص 97.

[2] ابن أشنهو، المرجع السابق، ص181.

[3] جمال قنان، المرجع السابق، ص 33.

[4] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود جمال الدين، المرجع السابق، ص 97.

المبحث الثاني: خلفيات حملة شارلكان على الجزائر

المطلب الأول: الاتصالات الدبلوماسية بين خير الدين بربروس وشارلكان قبيل الحملة

كانت العلاقات الجزائرية الإسبانية تتسم بالصراع والعداء فلم يتمكن الإمبراطور الإسباني شارلكان من حسم هذا الصراع بالقوة والقضاء على خصمه خير الدين باشا لذلك لجأ إلى الطرق الدبلوماسية[1] وبدأت هذه الاتصالات الدبلوماسية في سبتمبر 1538 م وقد اشرف عليها من الجانب الإسباني أندري دوريا الذي أرسل إلى خير الدين " ألونسودي ألاركون" و "خوان قاليقو" مستشار البحرية الإسبانية وتمت المفاوضات عن طريق الدكتور" روميو(Romeo); والضابط فاريقارا (De varegara)[2].

أراد شارلكان من خلال المفاوضات كسب خير الدين إلى صفه حيث عرض عليه منصب الحاكم العام لشمال إفريقيا من أجل إعلانه تبعيته للإسبان[3] والتخلي عن تبعيته للدولة العثمانية وخيانة سلطانها[4]، ومن جهة أخرى كان يقوم بالتفاوض سريا مع حسن أغا خليفة خير الدين عن طريق حاكم وهران الإسباني " الكونت دالكودات" لكنه لم يوفق في مسعاه[5]، لقد لجأ شارلكان إلى كل الأساليب من أجل إغراء خير الدين بما في ذلك المكر والخديعة والمناورات السياسية[6] لكن خير الدين كان أدهى منه إذا كان

[1] طاهر تومي، المرجع السابق، ص 96.

[2] صالح حيمر، المرجع السابق، ص 70.

[3] عزيز سماح ألتر، المرجع السابق، ص 155.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 65.

[5] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 31.

[6] طاهر تومي، المرجع السابق، ص 97.

يتظاهر مدة عامين أنه موافق على طلبه واستطاع أن يخدع دوريا الذي اقتنع أن خير الدين أصبح في جانب إسبانية[1].

لكن خير الدين كان يعلم السلطان العثماني بكل ما كان يجري بينه وبين شارلكان عن طريق وزيره الاعظم الأعظم " لطفي باشا"[2]وبعد مدة عامين التفاوض بين الطرفين قام حسن باشا خليفة خير الدين بالجزائر بطرد المبعوثين الاسبانيين وقام بإرسال الطبيب اليهودي الذي يعتبر احد المفاوضين التابعين للدولة العثمانية [3] وزج به في السجن بتهمة دفع أحد رعايا السلطان إلى خيانته[4].

المطلب الثاني: أسباب الحملة

لقد كان شارلكان يحلم دائما في ضرب والقضاء على الوجود العثماني في شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة لذلك أعد حملة عليها والتي ارتبطت بمجموعة من الأسباب نذكر منها:

_ خروج شارلكان منتصرا من تونس سنة 1535م وطرده للأتراك منها جعله هذا أكثر ثقة بنفسه وبأسطوله[5].

_ فشل المفاوضات السرية بين شارلكان من جهة وخير الدين وحسن آغا من جهة أخرى[6].

_ محاولة الإسبان الانتقام من خير الدين الذي ألحق بهم هزيمة نكراء في معركة بريفيزا (بروزة) سنة 1538م[7].

---

[1]محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 35.

[2]خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 194.

[3]المصدر نفسه، ص 195.

[4] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 35.

[5]عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 155.

[6]حون.ب وولف، المرجع السابق، ص 55.

[7] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص 188.

_ محاولة شارلكان تخفيف الخطر العثماني على النمسا وألمانيا وذلك عند احتلال الجزائر، مما يحتم على السلطان العثماني سليمان القانوني توجيه قواته نحو جبهة القتال الجديدة، ومحاولته هذه كانت كذلك انتقاما من سليمان القانوني بعد استيلاءه على جزيرة رودس سنة 1522م و محاصرته لفيانا عام 1529م وكورفور عام 1537م[1].

_ أراد شارلكان الرد على الأتراك بعد استرجاعهم قلعة البنيون سنة 1529م[2]، مستغلا وجود خير الدين في إسطنبول وانشغاله بقيادة الأسطول العثماني وما ترتب عليه من فراغ عظيم في الجزائر لا يمكن لأحد أن يمثله ومحاولته استغلال قلة الجيش العثماني الموجود بالجزائر حسب ما جاء في تقارير الجواسيس الإسبان واعتقادهم أن القوات المحلية غير قادرة على الدفاع عن المدينة[3].

- ازدياد العمليات العسكرية التي يقوم بها البحارة الجزائريون على إيطاليا، وسردينيا وجزر البليار حتى ضاق أهلها ذرعا، وقاموا بتقديم شكوى ضده فبعد انتصار بروزة وطرد الإسبان من الجزائر عرض البحارة العثمانيون سيطرتهم على شرق وغرب المتوسط حتى صار شارلكان هو نفسه يصعب عليه السفر من برشلونة إلى نابولي[4].

- اعتبار الجزائر وكر القراصنة ومأوى الهاربين من الأندلس وقاعدة السلطان سليمان القانوني الحصينة الموجهة ضد السواحل الإسبانية[5].

---

[1] مولاي بلحميسي، "غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر 948هـ/1541م بين المصادر الاسلامية والمصادر الغربية"،**مجلة الاصالة** ، ع:8 ماي _جوان 1972 ص 95.

[2] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ص 350.

[3] محمد دراج المرجع السابق، ص307، 308.

[4] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ج 1، دار المعركة بيروت، لبنان، ص ص 180 – 181.

[5] أحمد سالم، المرجع السابق، ص 126.

- استغلال شارلكان الهدوء الموجود في القارة الأوروبية بعد توقيع معاهدة نيس بينه وبين ملك فرنسا خاصة وأن هذا الأخير تعهد لشارلكان بعدم محاربته أثناء حربه ضد سلطان المسلمين بمدينة الجزائر[1].

المبحث الثالث: الاستعدادات ووقائع الحملة

المطلب الأول: استعدادات الجانبين

1- الاستعدادات الجزائرية لصد الحملة

لما علم حسن أغا أن شارلكان يعد لشن حملة على الجزائر شرع هو الآخر في إعداد العدة للرد عليه، فقام بتحصين المدينة وحشد القوات التركية والأندلسية المحلية للدفاع عن المدينة[2]، كما جمع العلماء والأعيان واستشارهم في الأمر وحثهم على الجهاد والصبر، وشجع الناس على القتال والدفاع عن البلاد والدين، فزودهم بالسلاح والبارود من أجل ذلك[3]، كما قام أيضا ببناء أسوار المدينة وأصلح ما انهدم منها ونصب عليها المدافع، حيث استخدم في إعادة البناء 400 أسير من الكفار وأمر أيضا بقطع أشجار البساتين كلها خوفا من النصارى أن يتستروا وراءها في حال القتال[4]، كما منع السكان من الخروج من المدينة، وكان تحت تصرفه داخلها 800 تركي من الجنود المدربين و 5آلاف من الرجال المتطوعين من سكانها الذين كانوا يجيدون استخدام السلاح[5]. لقد كانت المدينة حسب التقرير السري الإسباني الأول محصنة كما يلي:

- في البرج الفوقاني: ثلاثة مدافع لرمي الحجارة وخمس مدافع صغيرة.
- في البرج الكبير بباب الواد: مدفعان كبيران ومدفعان صغيران.

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 276.

[2] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري، .. ص 172.

[3] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص 196.

[4] الأغا بن عودة المراري، المصدر السابق، ص ص 121 ، 122.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص 65.

- زاوية باب الواد قرب البتر: أربعة مدافع ومن هذا المكان إلى الباب المقابل للجزيرة 17 مدفعا ومن هذا الباب إلى المسجد الكبير 17 مدفعا من البرونز والحديد ومن المسجد الكبير ودار الصناعة 21 مدفعا من بينهم 6 مدافع صغيرة[1] وفي باب عرون 8 مدافع وفوق نفس الباب مدفعين وفي المرسى 8 سفن يحتوي أكبرها علة 18 صفا للجذافين[2].

أما التقرير الإسباني الذي أرسله حاكم بجاية لشارلكان حمل معلومات حول تحصينات المدينة جاءت كما يلي: يوجد في مدينة الجزائر 200 من الأتراك و7000 أو 8000 من مهاجري في مدن الجزائر وملیانة وبقاع أخرى وضع بها بربروس حاميات[3]،ضف إلى ذلك تحطم جدار المدينة بسبب هطول الأمطار وهجر 1500 من البدو والمحيطين بالجزائر من أجل بنائه[4].

2- الاستعدادات الإسبانية:

كان شارلكان يفكر في غزو الجزائر غداة احتلال تونس سنة 1535م، حيث بدأ بإرسال جواسيس إلى الجزائر للاطلاع على الطرق المناسبة التي تيسر له احتلال المدينة[5]، ثم جمع لها إمكانيات مادية وبشرية ضخمة شاركت فيها الكنيسة الكاثوليكية، من خلال موافقة البابا على منح إسبانيا نصف مداخيل الكنيسة سنة 1539م[6] وقام بجمع الجنود من كل مكان فشارك نبلاء إسبانيا وإيطاليا وألمانيا كجنود متطوعين إلى جانب فرسان مالطة[7]، حيث تمكن من جمع إلى جانبه العديد من القادة الكبار مثل

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 277 ، 288.

[2] المرجع نفسه، ص 288.

[3] محمد دراج، المرجع السابق، ص 309.

[4] علي أحمد الصلابي، المرجع السابق، ص 172.

[5] محمد دراج، المرجع السابق، ص 310.

[6] صالح عباد، المرجع السابق، ص 65.

[7] أحمد سالم، المرجع السابق، ص 128.

فرناند كورتيس فاتح المكسيك مصحوبا بولديه وأندري دوريا أميرال الإمبراطور والكونت دالكوديت حاكم وهران الشهير وكولونا قريب البابا [1]، كما إلى حاكم جنوة يأمره بتجهيز ما عنده من السفن وإعدادها للسفر [2].

كان جيش شارلكان مؤلف من 24 الف رجل وألفي فارس أما الأسطول فكان يشمل على أربعمائة وخمسين سفينة نقل وخمسة وستين سفينة حربية كبيرة، فكان عدد البحارة في مجموعها يبلغ 12 ألف رجل[3]، وقبيل انطلاق شارلكان في عملية الغزو نصحه البابا واندري بتأجيله نظرا لاقتراب فصل الشتاء، إلا أنه لم يستمع لهم وقال لهم بإمكانه ،لانتهاء من هذا الأمر في غضون فترة قصيرة لا تتعدى 40 أو 50 يوما[4] وجاء هذا بعد ثقته الكبيرة بأسطوله الضخم والذي يعد أكبر قوة عسكرية بحرية تشق الباب غرب البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر [5].

من خلال العرض السابق وبالنظر إلى أهمية الحملة التي قادها شارلكان نفسه و شاركت فيها بعض الدول الأوروبية، إضافة إلى حجم الإمكانيات المادية والبشرية التي تم تسخيرها من أجل القضاء على الجزائر كل هذا يكشف لنا عن النزعة الصليبية الحاقدة على الأتراك والمسلمين[6].

---

[1] صالح عباد ،المرجع السابق ،ص65

[2] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 173.

[3] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 282.

[4] فريدون أمجان، المرجع السابق، ص 252.

[5] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 174.

[6] صالح حيمر، المرجع السابق، ص 80.

المطلب الثاني: سير الحملة ووقائعها

بعد ما أتم شارلكان استعداده لحملته الكبرى ضد الجزائر اتجه إلى ميناء ماهونMahon[1] ومنه أقلع بأسطوله يوم 16 جمادى الثانية 948هـ / 18 أكتوبر 1541م[2]، وكان هو من تولى بنفسه شارة قيادة الحملة كي يؤكد فوزه بشرف تحطيم مدينة الجزائر التي أرّقت مضاجع المسيحية [3].

وفي وقت العصر من يوم الأربعاء 17 جمادى الثانية 948هـ / 19 أكتوبر 1541م رسى الأسطول الإسباني برج تامنفوست، حيث خيل لأهل الجزائر وكأنه جبل استقر هناك لأنهم أصيبوا بالدهشة[4]، وعلى إثر هذا عين حسن آغا جماعة من الخيالة وأمرهم بالصعود إلى جبل بوزريعة لكي يحصوا العدد الحقيقي للعمارة وكل واحد منهم عاد بقوله " **لم أقدر على إحصاء ما رأيت لأن العدد كثير ولا يمكن إدراكه**"[5]، ولما لاحظ حسن آغا أن الخوف والهلع تسلل إلى الأهالي، سارع إلى أخذ كل التدابير اللازمة لطمأنتهم والرفع من معنوياتهم إضافة إلى حثهم على المقاومة والدفاع عن مدينتهم دون خوف مستشهدا بقول الله تعالى: " **كَم مِّن فِئَةٍ قَـلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَابِرِينَ**"[6].

بعدها قام بعقد اجتماع طارئ ضم علماء البلد وصلحائها ومشايخها، الذين تم التنسيق معهم للمقاومة وأصدر الأوامر بتوزيع الأسلحة والذخيرة على أهل المدينة، كما أمر شيخ المدينة سيدي سعيد الشريف بتعيين حراس على الأبراج والأسوار وتنصب

---

[1] لكن هناك بعض المصادر تذكر أن الحملة انطلقت من ميناء قرطجنة Carthagene إلى وهران أين تدعمت الحامية بقوات إضافية مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 100.

[2] المرجع نفسه، ص 70.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 29.

- جون تمنتفوس: هو برج الكيفان حاليا، أنظر: الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 223.

[4] محمد بن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص 17.

[5] مجهول المحكمة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1624، ص 3.

[6] سورة البقرة، الآية 249.

الرايات الحربية، وفي نفس الوقت قام حسن آغا بتعيين ضباط لحراسة الأبواب الرئيسية للمدينة فوضع على باب عزون الحاج حامي، وباب الوادي عين على رأسه القائد يوسف بمساعدة ثلاث ضباط، وعين على باب الجزيرة ثلاثة ضباط إلى جانبهم مجموعة من رياس البحر[1]، وتجند جميع سكان الجزائر فشكلوا حزاما على أسوار المدينة حاملين المكاحل والسيوف والرماح[2].

وفي صبيحة يوم الأحد 23 أكتوبر بدأت القوات الإسبانية بالإنزال إلى البر على الساحل الشمالي لواد الحراش وتحديدا بمنطقة الحامة، أين حاول الجزائريون المرابطون في عين المكان منع هذه القوات من التقدم لكنهم اضطروا للرجوع للوراء فاسحين لهم المجال على خلفية القصف المدفعي الموجه نحوهم من البحر[3] مما فسح المجال للإسبان لإنزال أسلحتهم وكل ما يحتاجونه وتركوا المؤونة في المراكب معتقدين أن المعركة ستحسم خلال ساعات فقط ويتم الاستيلاء على المدينة[4].

و بعد نزول النصارى للبر خيموا داخل معسكرهم في تلك الليلة وكلهم يقين أنهم سيستلمون المدينة دون خسائر، وفي هذه الأثناء أرسل شارلكان مبعوثه إلى حسن آغا يدعى لورانزو حاملا معه رسالة تهديد جاء فيها:" ...**تحقق أني مالك هذه المدينة كما ملكته مدينة تونس...وقد بدلت لك الأمان فإنك إن عاندت ولم تمل إلى ما دعوتك إليه أمرت العسكر يدفعون المدينة دفعة واحدة ويقلعونها حجرا حجرا**"[5]، وبينما كان شارلكان ينتظر قرار خضوع حسن آغا حتى جاءه رده الصارم مكتوبا فيه: "**يا كلب**

[1] صالح حيمر، المرجع السابق، ص 71.

[2] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 102.

[3] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص ص 157 – 158.

[4] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 102.

[5] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 30.

النصرانية، هل أنت إلا كلب من كلاب النصارى لم تقدر على إضعاف بلاد البرابرة فكيف على مدينة الجزائر؟[1]"

وفي تلك الليلة 24 أكتوبر وقع هجوم مضاد على الحامية الإسبانية يتقدمهم الحاج باشا ومعه قوة معتبرة من المجاهدين وكان خروجه في الربع الأخير من الليل أيام الشتاء، فأحدثوا ضجة عظيمة داخل معسكرهم ووزعوا في صفوفهم الرعب وعلى رأسهم الإمبراطور الذي صالح على رجاله وخواص وزرائه قائلا لهم:" **هؤلاء الذين أخبرتموني عنهم أنهم لا يقومون بحربنا أنظروا ما عملوا فينا هذه الليلة**"[2]، فهذه العملية كللت بالنجاح وألحقت بالنصارى خسارة كبيرة.

وعند الصباح أعطى الإمبراطور أمرا بقصف المدينة والاستيلاء عليها فوضع خطة تنص على تقسيم جيشه على النحو التالي: في المقدمة الجنود الإسبان بقيادة فرناندو دي قونزاق[3]، وعلى الخط الثاني قوات الألمان بقيادة الإمبراطور بنفسه، وفي آخر الصفوف نجد الإيطاليين فرسان مالطة والمتطوعين الذين جاؤوا من مختلف البلاد المسيحية[4].

ولما اقتربت القوات المتحالفة وبدأت القصف المدفعي على مدينة الجزائر رد عليها المجاهدون في مقدمتهم الحاج باشا والحاج مامي والحاج بكير وخضر بالقذائف المدفعية، مما أدى إلى انسحاب الجيش الإسباني إلى "رأس تافورة" قرب باب عزون على الساحل الشمالي الشرقي لمدينة الجزائر واتبع هذه العملية هجوم خاطف شنه الأهالي على الجيش الأيسر لجيش الإمبراطور، وأمام هذه الوضعية الحرجة التي وقع فيها شارلكان وجيشه أعاد ترتيب خططه وقرر الاستيلاء على المرتفعات حتى يتمكن

[1] محمد بن رقبة التلمساني، المصدر السابق، ص 20.

[2] مجهول المحكمة، المصدر السابق، ص 6.

[3] صالح حيمر، المرجع السابق، ص.85

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 67.

من مراقبة سير العمليات العسكرية، وبالفعل تم له الاستيلاء على (كدية الصابون) وجعلها قاعدة تنطلق منها عملياته العسكرية، إذ تمكن من خلالها الاستيلاء على العديد من التلال المجاورة للكدية، وهكذا تمكن العدو من السيطرة على المناطق الاستراتيجية، ولكنه وقع في فخ تفرق جيشه فكثفت المقاومة الجزائرية قصفها على السفن الإسبانية يوما كاملا حتى حل الظلام[1].

وفي 25 أكتوبر هبت عاصفة بحرية على مدينة الجزائر أدت إلى اضطراب جوي أتت معه أمطار غزيرة كالطوفان، وهاج البحر واشتدت أمواجه فتقطعت حبال السفن وتحطمت العديد من قطع الأسطول الاسباني' فاستبشر أهل الجزائر بعد هذه العاصفة واعتبروها إعانة من الله على أعدائهم[2]، وما زاد الوضع سوءا حالة الجيش التي أصبحت أشد خطورة من الأسطول لتوقف الإمدادات والمؤونة من المراكب حيث أن الجنود نزلوا إلى البر دون أن يأخذوا حذرهم، فنال منهم التعب والإرهاق لقلة النوم مع البرد والجوع، فاستغل حسن آغا هذا الوضع وانقض على رأس تافورا مخترقا جبهة القتال فضعف الأعداء من هذا الهجوم المفاجئ[3].

وفي صباح 26 أكتوبر تأكد شارلكان أن حلمه في السيطرة على مدينة الجزائر ضربا من الخيال فأخذ يبحث عن النجاة من هذا المأزق دون التفكير بشيء آخر فأمر القائد أندري دوريا بالانسحاب إلى تامنفوست ليهيئ له مقر اللجوء هناك[4]، وفي طريق الانسحاب وجد شارلكان وجنوده عقبات كثيرة ، خاصة من ارتفاع منسوب المياه وادي الحراش، فاضطروا إلى وضع جسر بألواح سفنهم كي يتمكنوا من العبور[5] كما أن الأهالي لم يتوقفوا عن ملاحقتهم خاصة الصفوف الأخيرة الذين أوقعوهم بين قتيل

[1] محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 314 – 315.

[2] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 104.

[3] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص159، 160.

[4] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 105.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص 86.

وجريح، ليتمكن الجيش الإسباني من الوصول إلى ماتيفو(برج البحري) يوم 29 أكتوبر حيث أقاموا مدة يومين هناك وبعدها أقلع الأسطول باتجاه بجاية التي وصلها يوم 4 نوفمبر 1541م وخلال أيام غادر شارلكان بجاية فوصل إلى ميورقة ومنها إلى قرطجنة التي دخلها في 2 ديسمبر 1541م[1]

المطلب الثالث: أسباب الهزيمة

1- في نظر الغربيين

لقد حاول العديد من المؤرخين الأوروبيين الوقوف على حجم الكارثة وتبرير هزيمتهم:

- بإلقاء اللوم على الإمبراطور، لعدم سماعه إلى نصائح أندري دوريا وأخوه الملك فرديناند أن فصل الشتاء غير مناسب لهذه الحملة الكبيرة نظرا للوضعية الجوية في هذا الوقت تكون غير مستقرة إلا أن شارلكان لم يبال بكل هذه النصائح ورسم مع مستشاريه موعدا لإغارة الجزائر[2].

_ إصرار شارلكان على مهاجمة الجزائر في شهر أكتوبر راجع إلى إمكانية انصراف الأسطول العثماني إلى إسطنبول لقضاء الشتاء والعودة في فصل الربيع كما هو معلوم، وبما أن الاحتمال قريب للواقع إلا أن الإمبراطور أخطأ التقدير لأن الجزائر تنامت قوتها وأصبحت في خطوط متقدمة نحو جبهات القتال في منطقة البحر الأبيض المتوسط دون الاستعانة بالدولة العثمانية[3].

_ تأخر البدء في العمليات العسكرية منذ الوصول يوم 20 أكتوبر إلى 23 نوفمبر إذ يعتبرها الأوروبيون أنها مضيعة للوقت، إضافة إلى ضعف القيادة وارتكاب أخطاء

[1] محمد دراج، المرجع السابق، ص 118.

[2] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 106.

[3] صالح حيمر، المرجع السابق، ص 104.

كلفتهم الهزيمة وخاصة في كيفية إرساء السفن التي حيرت المؤرخون الأوروبيون بإبقاء مدفعية الحصار في السفن وكذلك المؤونة والذخائر[1].

فالمصادر الغربية أجمعت كلها أن العاصفة التي حلت بمدينة الجزائر عرقلت تنفيذ العمليات النوعية للاستيلاء على المدينة وخاصة بعد محاصرتها ب 36 ألف جندي من قوات التحالف من مختلف الجنسيات، وأمام هذا الوضع لا يمكن إنكار أن العاصفة والأمطار كانت من عوامل الهزيمة ولكنها ليست سببا رئيسيا كما يدعي هؤلاء[2].

2- في نظر المسلمين

أما المصادر الإسلامية فقد أرجعت أسباب الانتصار إلى:

_ الاستعداد المحكم لسكان مدينة الجزائر الذين نزلوا إلى ميدان الجهاد استجابة لدعوات المرابطين والفقهاء والذين وجدوا إلى جانبهم الأندلسيين الراغبين في الانتقام من الإسبان[3]، قابله عناد شارلكان واستخفافه بإمكانيات المقاومين الجزائريين[4].

_ إعانة الله للمسلمين بهذا النصر إذ سخر معهم الأمطار والرياح والأمواج فقد تسببت هذه العاصفة في كارثة أقلعت بها خيام جنود الحملة وارتطمت سفنهم ببعضها البعض كما أفسدت الأمطار مفعول البارود[5]._

كما انتشرت بين عامة الناس أن سبب هزيمة شارلكان وحلفائه يعود إلى كرامة الأولياء الصالحين والتي ذكرت عدة روايات منها: أن سيدي بوقدور نزل إلى المرسى بواسطة مركب محمل بالقدور من طين ويدا يكسر في هذه القدور الواحدة تلوى الأخرى، فكان كلما يكسر قدر يقابله تحطم مركب من مراكب الغزاة، وهناك رواية

[1] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 106.

[2] صالح حيمر، المرجع السابق، ص 105.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 32.

[4] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 107.

[5] محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية ، ص 225.

أخرى تتعلق بالولي دادا حيث زعموا أنه لما هلع السكان من تقدم الغزاة قام الشيخ بالنزول الى البحر وضرب بعصاه فقامت العاصفة وحطمت الأسطول الاسباني، أما الرواية الثالثة تعود الى الشيخ سيدي أبو التقى الذي كان يتعبد في خلوته ولما هاجم الغزاة الجزائر أمر البحر بالهيجان، ولقد ذهب هايدو إلى أبعد من ذلك أبو التقي توفي منذ سنوات وعندما جاء النصارى عام 1541م قام هذا الولي من قبره وأدى الصلاة تضرعا لله فاستجاب الله دعائه[1].

لكن ومهما قيل عن أسباب الهزيمة لابد من الإشارة إلى الدور الفعال الذي لعبه حسن آغا في تنظيم صفوف المجاهدين وإظهاره لشجاعة كبيرة في مواجهة الغزاة رفقة قيادة عسكرية محنكة أمثال الحاج بشير، على صارد والحاج مامي وغيرهم الذين ابتكروا أساليب قتال جديدة كأسلوب الحر والفر الذي أدى إلى إفشال مخططات العدو وكبدته خسائر فادحة[2].

المبحث الرابع: تداعيات الحملة

المطلب الأول: الخسائر المادية والمعنوية

لقد كللت حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م بالفشل الذريع ولقد أدى هذا الفشل إلى نتائج مادية ومعنوية وسياسية كبيرة تركت آثارا عميقة على المخططات الإسبانية في شمال إفريقيا، ومن بين النتائج المادية والمعنوية نذكر منها:

1- **الخسائر المادية للجيش الإسباني:** شملت خسارة 200 سفينة من بينها 30 سفينة حربية و 200 مدفع و 12 ألف مقاتل بين غريق وأسير، بالإضافة إلى كامل عتاد الحملة وتجهيزاتها وتموينها[3]، فلقد انتشرت جثث وقطع السفن المدمرة على طول

[1] المرجع نفسه، ص111.

[2] صالح حيمر، المرجع السابق، ص 108.

[3] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 161.

السواحل ما بين شرق دلس إلى غرب شرشال[1] حيث استطاع أنصار حسن آغا إخراج من مياه البحر 60 قطعة من المدفعية أربع قطع منها صغيرة والباقي كبيرة[2]، كما استولوا على 100 مدفع وزينوا بها الحصون الحربية وسائر أسوار المدينة، أما المراكب فإن معظمها عطب على السواحل[3]، يضاف إلى ذلك وقوع عدد كبير من الجنرالات والأميرالات والدوقات والأمراء وغيرهم من أبناء القصور و العائلات الكبيرة في الأسر وهؤلاء جميعا جاؤوا من مختلف عواصم أوروبا من أجل الاستمتاع بمشاهدتهم احتلال الجزائر[4]، فكثرة الأسرى الذين تم أسرهم أدى إلى نزول أسعار العبيد بشكل كبير في سوق الرقيق[5]، أما الخسائر التي منيت بها قوات حسن آغا فهي استشهاد 200 من المجاهدين المسلمين من أتراك وعرب وبربر[6].

2-**النتائج المعنوية**: بالنسبة للتحالف الأوروبي تمثلت في انتشار الرعب والخوف في نفوسهم[7]، كما تركت هذه الهزيمة النكراء آثارا وجروح عميقة في نفس شارلكان، فقد أفقدته ثقته بنفسه وانكسرت شوكته خاصة، وأنه ممثل المسيحية والحفيد المباشر لفرديناند و إيزابيلا، وقد كانت مرارة الخيبة كبيرة عنده بقدر الأمل الذي كان يحمله في احتلال الجزائر فمن شدة خوفه وخجله من خسارته المهينة لم يذهب مباشرة إلى إسبانيا بل توجه نحو إيطاليا [8] .

---

[1] المرجع نفسه، ص 157.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 68.

[3] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 180.

[4] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 206.

[5] المصدر نفسه، ص 209.

[6] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص 202.

[7] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 161.

[8] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، دار الأمة للطبع والنشر، ط1 ،2007، ص 142، 143.

ومن أثر الهزيمة عليه سقط التاج من على رأسه ، ولما التقطه رفض إعادته مرة أخرى على رأسه وقام برميه في عرض البحر لأنه أصبح يرى نفسه ليس أهلا لحمل التاج مرة اخرى وبقيت هذه الحادثة راسخة في أذهان الاسبان، فإلى يومنا هذا ملوك اسبانيا لا يضعون التاج فوق رؤوسهم[1].

أما بالنسبة للجزائريين فكانوا راضين على المعركة واعتبروا ذلك اليوم يوم عيد، واحتفلوا بنصرهم لأنه من أعظم انتصارات الجزائر، فحتى اليهود الموجودين بها احتفلوا وفرحوا معهم[2] وكذلك عندما وصل خبر النصر إلى السلطان العثماني فرح فرحا شديدا وقام بمكافئة وتكريم حسن آغا فأرسل إليه قفطانا فخما ورسالة وأطلق عليه لقب "الباشا"[3].

المطلب الثاني: النتائج السياسية

1-داخليـا

أ- **تحرير تلمسان** :

من الانعكاسات المباشرة لهزيمة شارلكان في معركته الكبرى ضد الجزائر دخوله في صراع مع العثمانيين في الغرب الجزائري، فالإسبان كما تقدم كانوا حريصين على عدم استقرار الأوضاع في تلمسان لصالح الأتراك والمواليين لهم، وبداية النهاية كانت باسترجاع السلطان محمد بن عبد الله الحكم من أخيه عبد الله والذي ما لبث أن أطاح به أخوه أحمد المدعوم من طرف الإسبان وهذا ما جعل حسن بن خير الدين يزحف للناحية الغربية للإطاحة به، وأمام هذه الوضعية المعقدة التي آلت إليها تلمسان في العقد الثاني من 16م، حيث كانوا تابعين تارة للإسبان وتارة لحكام الجزائر العثمانية، إضافة إلى ظهور خطر الأشراف السعديين الذين استكملوا توحيد المغرب الأقصى

[1] عزيزسامح التر،المرجع السابق، ص 166

[2] جون ب وولف، المرجع السابق، ص 59.

[3] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 211.

وجهوا أنظارهم للتوسع على حساب تلمسان 1550م ولكن جيش حسن باشا تمكن من السيطرة على الوضع سنة 1551م وإزاحتهم إلى ما وراء ملوية[1].

وفي هذه الأثناء وصل قرار من اسطنبول بعزل حسن باشا كبايلرباي الجزائر وتعيين صالح رايس مكانه في أفريل 1552م وأول خطوة نفذها، القضاء على تهديد السعديين للمنطقة الغربية بغرض توحيد البلاد فتوجه إلى تلمسان عام 1553م في فترة حكم مولاي حسن، حيث قاد حملة عسكرية كبيرة ضد الأشراف السعديين لطردهم من تلمسان نظير قيامهم بالمؤامرات والدسائس مع الاسبان ضد الأتراك بالجزائر، كما تم عزل الحسن الزياني سنة 1553م لتواطئه مع الإسبان وخيانته للأتراك[2]، وبهذا تم ضم تلمسان نهائيا للدولة الجزائرية واختفاء الدولة الزيانية من مسرح الاحداث السياسية بعد ان عمرت حوالي ثلاثة قرون وثمانية عشر عاما[3]

ب- تحرير بجاية

عمل عروج وخير الدين منذ دخولهم إلى الجزائر على تحرير بجاية عدة مرات إلا أن كل محاولاتهم باءت بالفشل وبقيت بجاية تحت سيطرة الإسبان إلى غاية ظهور صالح رايس الذي سوف تكون له كلمة أخرى في مجرى الأحداث ببجاية، حيث تمكن من تأديب الإمارات المتمردة مثل إمارة كوكو، ووجه أنظاره إلى بجاية من أجل القضاء على الإسبان بها فقام بجمع ثلاثة آلاف تركي وأربع قطع بحرية على متنها 12 مدفع، وهي إمكانيات قليلة لذلك دعا قادة الأهالي للمشاركة في الحرب ضد الإسبان، فانظم إليه أكثر من 30 ألف رجل من الخيالة والمشاة[4].

وفي جوان 1555م سار صالح رايس إلى بجاية برا وتوغل عبر واد الصومام لارتفاع

[1] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص 34 ، 35.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 86 ، 87.

[3] يحيى بوعزيز، تلمسان، المرجع السابق، ص 87.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 78.

منسوب المياه فيه وبدأ هجومه في 16 سبتمبر باستقبال المدفعية وبعد يوم ونصف من القصف تم تدمير القصر الإمبراطوري كليا، ونفس الشيء لحق بالقصبة فحطمت بعد 6 أيام[1]، أما حصن البحر فقاموا بمحاصرته 40 رجلا مدة 5 أيام وبعدما اقتحموه توجهوا إلى الحصن الكبير الذي لجأ إليه كل من تبقى من الإسبان بما فيهم قائدهم دون ألفانسو دوبرالت[2]، الذي أدرك عدم الجدوى من المقاومة. ومباشرة بعد تلقيه أوامر من صالح باشا بالاستسلام[3]، فقام الأتراك بإطلاق صراح 122 شخص من المسنين والمعطوبين كما أطلقوا صراح قائد بجاية دي بيرالتا بعد منحه محررين قطعة بحرية وبعد وصوله إلى إسبانيا تم إعدامه بتهمة الخيانة، وهكذا تم تحرير بجاية[4].

2-خـــــارجيا

أ-تحرير مدينة طرابلس الغرب

لقد ألقى الانتصار الذي حققه الجزائريون عام 1541م بصداه إقليميا ودوليا، حيث كانت الانطلاقة من تحرير طرابلس الغرب من قبضة فرسان مالطة عام 1551م، إذ أعد السلطان العثماني سليمان القانوني حملة بحرية كبيرة تكونت من 192 سفينة واسندت القيادة إلى سنان باشا وبمساعدة درغوث باشا وصالح رايس بايلرباي الجزائر، وبتاريخ 29 جويلية سلك الأسطول العثماني طريقه إلى مالطة ومنه إلى طرابلس[5] التي وصلها الأسطول في 04 أوت 1551م، فتم محاصرة الميناء الذي كان في أيدي فرسان القديس يوحنا وأصبح سقوط طرابلس أمرا لا مفر منه.

---

[1] نجيب دكاني، المرجع السابق، ص 121.

[2] محمد بن عميرة – لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الخطط السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، ط 1، دار الفاروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2015، ص 331.

[3] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 194.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 79.

[5] يحيى بوعزيز، العلاقات... ص 48.

وبعد احتدام تقدم الحصار توسط السفير الفرنسي الذي كان في طريقه إلى وظيفته بإسطنبول فأقنع الأميرال لتركي سنان باشا السماح للسفينة الفرنسية إجلاء فرسان القديس يوحنا مقابل استسلامهم حالا[1] وبهذا المكسب الذي حققته الدولة العثمانية أصبحت طرابلس الغرب إيالة عثمانية تابعة شرفيا للجزائر ومن هنا بدأ تنفيذ مشروع الوحدة في شمال إفريقيا.

ب - التحرير النهائي لتونس

تمكن علج علي من الاستيلاء على تونس ودخولها عام 1569م وهكذا أصبحت من جديد بيد الأتراك وهذا ما أزعج الإسبان الذين قاموا بإنشاء حلف مضاد ضد الأتراك[2] من أجل استرجاع تونس لأنها كانت تمتلك موقع استراتيجي هام، فبعد معركة ليبانت التي انهزم فيها علج علي قامت إسبانيا بحملة ثانية على تونس بقيادة دون خوان النمساوي[3]، الذي خرج في أكتوبر 1572 من صقلية على رأس أسطول مكون من 138 سفينة تحمل 25 ألف مقاتل، ونزل بحلق الواد التي كانت تابعة له واستولى على تونس مرة ثانية دون أي مقاومة تذكر من أهلها[4]، فعندما وصلت هذه الأنباء إلى السلطان العثماني أرسل أمر إلى أمراء الشمال الإفريقي يطلب منهم الاستعداد من أجل استرجاع تونس من يد الأعداء وفي 13 جويلية 1574م دخل تونس الجيش العثماني بقيادة سنان باشا وعلج علي ففرضوا عليها حصارا مشددا اشترك فيه كل من أمير أمراء الجزائر رمضان باشا، وأمير أمراء طرابلس الغرب مصطفى باشا وحيدر باشا من تونس وأمير أمراء الجزائر السابق أحمد باشا[5].

---

[1] جون ب وولف، المرجع السابق، ص 68.

[2] صالح عباد،المرجع السابق ص ص 93 ، 94.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 348 ، 349.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 399 ، 400.

[5] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 246.

وبعد مقاومة من طرف الإسبان تمكن الجيش العثماني من إلحاق هزيمة نكراء بالعدو في حلق الوادي، وغنموا جميع ما بها من العدة والذخيرة والآلات بعدها فر الإسبان ومعهم محمد بن الحسن الحفصي الموالي لهم إلى قلعة الباستيون فتم اللحاق بهم من طرف سنان باشا ومن معه وقاموا بحصارها والاستيلاء عليها[1]، وهكذا تمكن العثمانيون إعادة فتح تونس والقضاء نهائيا على الحكم الإسباني والحفصي بها[2].

ت- دور البحرية الجزائرية في حرب مالطة 1565م

مثلت مشاركة إيالة الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية في حربها على مالطة واحدة من مظاهر العداء بين الجزائر وإسبانيا، فكان آخر عمل قام به حسن باشا في الجزائر مشاركته فيها، للاستيلاء على مالطا والقضاء على فرسانها لأنها مصدر قلق للعثمانيين لأنهم حاولوا الوقوف في وجه سعيهم للسيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[3].

وأمام هذه التجاوزات قام السلطان العثماني سليمان القانوني بإرسال الأوامر إلى قوة عسكرية بقيادة بيالي باشا وبمساعدة الرايس درغوث حاكم طرابلس وحسن باشا بايلرباي الجزائر للمشاركة في حرب مالطة وإخضاعها[4] حيث وصل الأسطول العثماني إلى ساحل مالطة يوم 18 ماي 1565م، وبدأ تنفيذ عملياته عسكرية إذ تم احتلال حصن بسانت إيلمو معقل القديس بعد أن استشهد الرايس درغوث في 22 ماي واستمرت المعارك بين المسلمين والمسحيين الذين قاموا برد هجوم عنيف نفذه حسن باشا في 15 جويلية على حصن القديس ميخائيل.

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 401.

[2] أحمد سالم، المرجع السابق، ص 151.

[3] المرجع نفسه، ص 89.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 384.

ورغم اشتداد الحصار إلا أن الجزيرة لم تسقط بسبب قلة التنسيق بين القوات العثمانية وتأخر البعض في الوصول إلى المعركة وأمام قوة والصلابة في الدفاعية إضافة إلى وفاة درغوث باشا الذي أصيب بقنبلة أثناء الهجوم على حصن سانت إيلمو كلها عوامل ساعدت على صمود الجزيرة[1].

وبهذا وبرغم التعداد العسكري الضخم الذي قاده شارلكان وحلفائه في حملته على الجزائر إلا انه لقي هزيمة نكراء أمام القوة العسكرية الجزائرية المتواضعة، التي جعلت من الجزائر بعدها قوة لا يستهان بها.

[1] منور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الاساطير والواقع، الجزء 2، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 137.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من الإستنتاجات التي تمحورت حول أهم الأحداث التي عرفتها الجزائر قبل وبعد حملة شارلكان عام 1541م.

-أدى الفراغ السياسي الذي شهدته الجزائر أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م إلى ضعف قدرتها الدفاعية مما جعلها محل أطماع دول الجوار التي سعت إلى التوسع على حسابها هذا من جهة ومن جهة أخرى تكالب الدول الأوروبية خاصة إسبانيا التي شنت حملات على سواحلها واحتلت مدنها الواحدة تلو الأخرى، كما وجدت مدن أخرى نفسها مجبرة على توقيع معاهدة استسلام.

- إن الإخوة بربروس لعبوا دورا هاما في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، حيث حملوا على عاتقهم مسؤولية حماية المسلمين من العدوان الصليبي، كما كان لهم الفضل في تكوين ووضع أسس الدولة الجزائرية الحديثة.

-إن إنطواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية الإسلامية ساعدها على ردع إسبانيا فانكمش نشاطها التوسعي وأصبحت من دولة مهاجمة إلى دولة مدافعة.

-بعد سقوط قلعة البنيون عام 1529م في يد الإسبان عرفوا مدى خطورة وجود الأتراك العثمانيين بالجزائر، لهذا راحت إسبانيا تنظم تحالفات مع القوى الأوروبية المسيحية للقضاء عليها.

-نتج عن التحالف الأوروبي ضد الجزائر تكوين حملة ضخمة لم يشهد لها مثيل في القرن 16م قادها الإمبراطور شارلكان بنفسه.

-رغم ضخامة تعداد حملة شارلكان إلا أن الجزائر بإمكاناتها المحدودة إستطاعت صدها وإلحاق بها هزيمة نكراء .

-إن هذه الحملة لم تكن مجرد حملة عسكرية كبقية الحملات التي قادتها إسبانيا سابقا على السواحل الجزائرية، وإنما كانت مشروع أوروبي من طرف الإمبراطورية الرومانية المقدسة ضد المدينة التي تعتبر حامية الإسلام والمسلمين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

-لقد ترتب عن فشل حملة شارلكان على الجزائر نتائج أثرت على الطرفين وبقيت هذه الآثار على المدى البعيد.

_تباين آراء المؤرخين الأوروبيين الذين رجحوا أن العامل الطبيعي هو سبب الهزيمة أمام الجزائر عام 1541م .

- كان لانتصار الجزائر وصدها هذه الحملة أثره البارز في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث أصبحت الجزائر قوة مسيطرة على المنطقة.

الملاحق

الملحق الأول: التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية

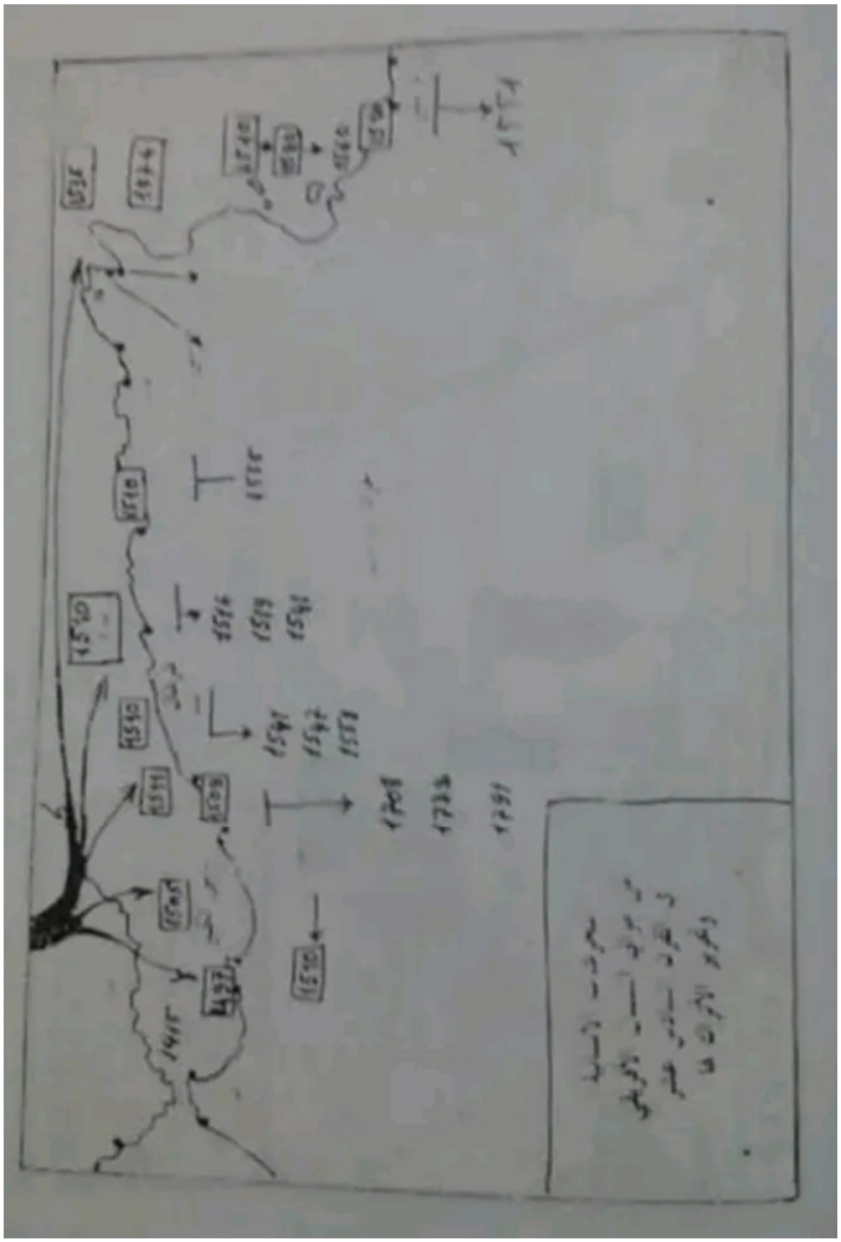

يحيى بوعزيز، الموجز...ص27.

الملحق 02: خير الدين بربروس

مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص132.

الملحق رقم03:رسالة أعيان الجزائر إلى السلطان العثماني

مذكرة خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص218.

الملحق رقم04: خريطة أهم الحملات الأوروبية على الجزائر

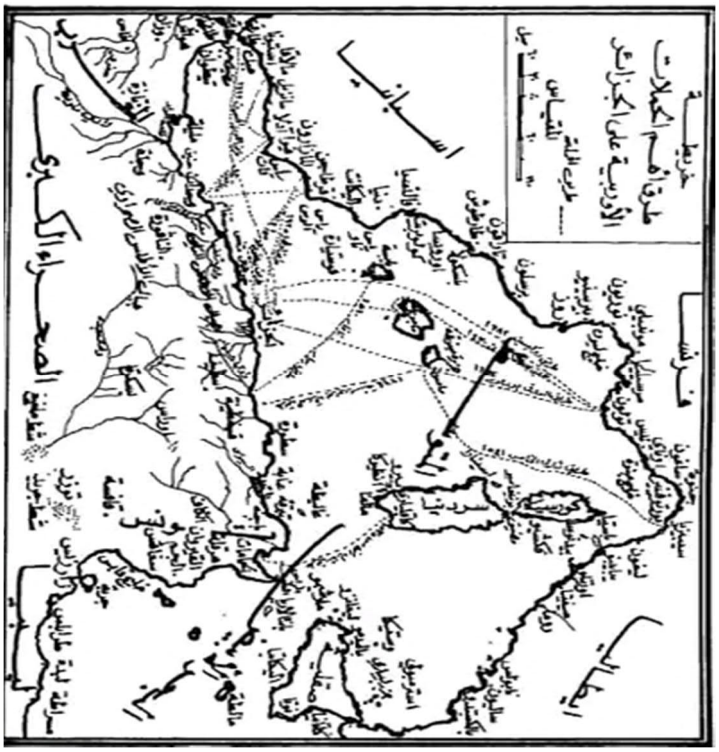

بسام العسلي، المرجع السابق، ص146

الملحق رقم05: الأمبراطور شارلكان

مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق،ص137.

الملحق رقم 05: معركة الجزائر الكبرى وانكسار الأسبان برا وبحرا أمامها

عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص66

بيبليوغرافيا

المخطوطات:

1- التلمساني محمد بن عبد الرحمان إبن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 2523.

2- مجهول: المحكمة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1624.

المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- إبن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصدر، 2001.

3- بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: دراج محمد، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

4- التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، ترجمة: آغا بوعياد محمود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2011.

5- إبن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار الفكر للنشر، لبنان، 2000.

6- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق: البوعبدلي المهدي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

7- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: ماضور محمود، المكتبة العتيقة، تونس، 1996.

8- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816 – 1824)، تعريب وتقديم وتعليق: العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

9- الغساني الأندلسي محمد، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير (1690 – 1691)، تحقيق: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2002.

10- كربخال مارمول، إفريقيا، ترجمة: حجي محمد وآخرون، ج2، دار المعرفة للنشر، الرباط، المغرب، 1984.

11- المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، تحقيق: بوعزيز يحيى، ج1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، لبنان، 1990.

12- الناصري أحمد أبو العباس، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، ج3، تحقيق وتعليق: الناصري جعفر والناصري محمد، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1997.

13- الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة: حجي محمد، الأخضر محمد، ج2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط2، لبنان، 1983.

المراجع:

1- بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد سماعي للطباعة والنشر، الجزائر.

2- الأقرش دلندة وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر ميدياكوم، 2003.

3- ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: عامر محمود علي، ط1، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

4- برنشفيك روبار، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، ترجمة: الساحلي حمادي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، لبنان، 1988.

5- البطريق عبد الحميد، نوار عبد العزيز، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، مصر، 1997.

6- بن عميرة محمد وبن عميرة لطيفة بشاري، تاريخ بجاية في ظل مختلف الخطط السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، ط1، دار الفاروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2015.

7- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية 1962، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، الجزائر.

8- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر "الجزائر الحديثة"، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

9- بوعزيز يحيى، تلمسان، وزارة الثقافة للنشر، الجزائر، 2007.

10- بوعزيز يحيى، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500 – 1830)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

11- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830)، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

12- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج3، الديوان الوطني لمطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1994.

13- خساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، الأصول السياسية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

14- بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن 10هـ/ 16م، دار الأمل للنشر والتوزيع، ج1، الجزائر، 2006.

15- خير فارس محمد، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979.

16- دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512 – 1543)، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

17- سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تحقيق: زيادية عبد القادر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

18- سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

19- الشطاط علي حسين، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

20- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 – 1541)، ترجمة: حمادنة جمال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

21- الشيخ رأفت، تاريخ المغرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، جامعة الزقازيق، مصر، 1994.

22- الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية " عوامل النهوض وأسباب السقوط"، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2001.

23- الصلابي علي محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ج1، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

24- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012.

25- عبد القادر نورالدين، صفحات من تاريخ الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر.

26- العسلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470 – 1547)، ط1، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

27 - عطا الله الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1977.

28- العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ط3، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1993.

29- عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار الريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

30- بن عميرة محمد وبن عميرة لطيفة بشاري، تاريخ بجاية في ظل مختلف الخطط السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، ط1، دار الفاروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2015.

31- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ط4، مطبعة المدني، مصر.

32- بن العنتري محمد صالح، تاريخ قسنطينة، تحقيق: بوعزيز يحيى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

33- غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

34- نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، دار الأمة للطبع والنشر، الجزائر، 2007.

35- فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (910هـ -1206م/ 1505 – 1792م)، دراسة الآثار السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية على الجزائر، الجزائر.

36- الفيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الروماني، ج1، موفد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

37- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 – 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007.

38- كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، 2006.

39- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسباني (1492 – 1792)، ط 1، دار البعث للنشر والتوزيع، الجزائر.

40- مروش منور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة الساطير والواقع، جزء2، دار القصبة للنشر، الجزائر.

41- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989

42- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر

43- النشار محمد محمود، دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، جامعة طنجة، مصر، 2007.

44- نوار عبد العزيز وجمال الدين محمود محمد، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي للطباعة والنشر.

45- نيقولاي ايقانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516 – 1574)، ترجمة: عطا الله، ط1، دار الفرابي للنشر، بيروت، لبنان.

46- وولف جون ب، الجزائر وأوروبا (1500 – 1830)، ترجمة: سعد الله أبو قاسم، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

الموسوعات:

1- جان بيرنجيه وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشرن ج2، عويدات للنشر والطباعة، ط1، بيروت، لبنان، 1995.

3- الجميعي عبد المنعم، الدولة العثمانية والمغرب العربي، الموسوعة الثقافية التاريخية والأثرية والحضارية "التاريخ الحديث"، دار الفكر العربي للتوزيع والنشر، القاهرة، 2007.

الأطروحات والمذكرات:

1- بو الصوف فضيل، العلاقات السياسية بين الأندلسيين وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف 05هـ/ 11م، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة.

2- بوبكر محمد السعيد، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر ميلادي (1708 – 1792) مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، 2010 – 20111.

3- بوحسون عبد القادر، الأندلس في عهد بني الأحمر، أطروحة لنيل دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012 – 2013.

4- تومي طاهر، العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2014 – 2015.

5- حيمر صالح، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541م وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة باتنة، 2006 – 2007.

6- درويش شافعي، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 2010 – 2011.

7- دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509 – 1792)، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013 – 2014.

8- دكاني نجيب، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن 10هـ/ 16م، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2001 – 2002.

9- شدري معمر رشيدة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية (1518 – 1830)، أطروحة لنيل دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2017 – 2018.

10- لعباسي محمد، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خير قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين، المؤلف مجهول من (910هـ – 1512م/ 953هـ – 1546م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2005 – 2006.

11- مدني محمد العيد، يزيد محمد أمين، موقف الدولة العثمانية من القضية الموريسكية (1492م/ 1616)، مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث، جامعة البويرة، 2017 – 2018.

12- المليق عبد القادر، تأثير ثورات المورسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الإسبانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2012 – 2013.

المجلات:

1- أيلالي أسماء، التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10هـ/ 16م، قراءة في الدوافع والنتائج، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 21، جامعة غرداية، 2017.

2- بلحميسي مولاي، غارة شارلكان على مدينة الجزائر 1541م/ 948هـ بين المصادر الإسلامية والمصادر العربية، مجلة الأصالة، العدد 08، الجزائر، ماي – جوان 1972.

4- عقيب محمد السعيد، دور خير الدين بربروس في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات، العدد 13، جامعة الوادي، 2017.

الفهارس

❖فهرس الأعلام

❖فهرس الأماكن

❖فهرس المحتويات

فهرس الأعلام

أ	خ
ألفانسو 14 **إيزابيلا** 16،18،19،20،21،22،53،69 **ألكسندر السادس** 20 **إسحاق**30 **أندريا دوريا** 33،47،56،61،66 **أحمد ابن القاضي** 40،42	**خايمي** 15 **خيمينيس** 20،23،24،37 **خيرالدين** 30،34،40،41،42،43،46،47،48،49،50، 56،57،58،71 **خضر** 64
ب	**د**
بيدورو 15 **بيدرو نافارو** 25،26،27،33 **بربروس** 30،31،33،34،35،51	**دونرايموند دي قرطبة** 24 **درغوث باشا** 74،75
ج	**ز**
جيرونيمو فيانيلي 23،24 **جون مارتن دي فارغاس** 48،49	**أبو زيان المسعود** 9،37،38 **أبو زكريا يحيى ابن أبي محمد** 11
ح	**س**

أبو حمو الثالث 9، 37،39	**أبي سعيد عثمان** 12،13
أبو الحسن المريني 13	**سطورا** 25
حسن باشا 57،74،75	**سالم تومي** 27،35،36
حسن آغا 62،63،65،68،69،70،71	**سليم الأول** 42
الحاج مامي 63،64،68	**سليمان القانوني** 45،58،72،74
الحاج بكّير 64	**سنان باشا** 72،73،74
حيدر باشا 74	

ش	**ق**
شارلكان 19،38،45،50،53،54،55،56،57،58،59، 60،61،62،63،64،65،66،67،69،75	**ابن القانص** 25
ص	**م**
صالح رايس 71،72	**محمد ابي تاشفين** 12 **محمد بن أبي ثابت** 12 **مولاي حسن** 49،50،71 **ماكسيميليان** 53،54 **مارغريت النمساوية** 53،54 **مصطفى باشا** 74

ع	هـ
عثمان بن يغمراس 11 عبد الواحد 12 أبو العباس أحمد بن أبي حمّو 12 عيسي العريبي 25 عبد الرحمان الحفصي 26 عروج 30،31،32،33،34،35،36،38،39،40،71 علج علي 73	هنري البورجوني 16،17 هيقو دو مونكادا 45
ف	**ي**
أبو فارس 12 فرناندو الثالث 14 فيرناند 16 ،18،20،21،53،69 فيليب الجميل 19،53 فرانسوا الأول 54،55 فيرناندو دي قونزاق 64	يغمراسن 8،11 يحيى الثابتي 9 يوسف بن يعقوب 13 يحيى القادر 14 يعقوب بن يوسف 30

فهرس الأماكن

أ	ت
▪ **إسبانيا، ص** 8-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-30-32-33-35-36-37-39-40-41-43-44-45-46-47-50-53-54-56-57-59-60-63-64-68-70-71-72-73-74 ▪ **ارغون، ص** 15-16-17-18 ▪ **الاندلس، ص** 15-20-22-32-51-58 ▪ **أريولة، ص** 15 ▪ **افريقيا، ص** 17-19-20-22-23-27-33-41-54-58-68-73 ▪ **اسيا، ص** 17 ▪ **اثيوبيا، ص** 17 ▪ **ايطاليا، ص** 19-24-31-33-53-54-58-60-64 ▪ **الونيا، ص** 45 ▪ **المانيا، ص** 53-54-58-60 ▪ **انجلترا، ص** 54-55 ▪ **أمريكا، ص**54	▪ **تونس، ص** 7-9-31-34-43-49-50-51-57-60-63-73-74 ▪ **تلمسان، ص** 8-11-12-23-32-37-38-39-40-45-70 ▪ **تقرت، ص** 10 ▪ **تنس، ص** 40
ب	**ج**
▪ **بني عبد الواد، ص 8** **بجاية، ص 9-11-26-27-32-33-34-35-60-71-72** ▪ **بني جلاب، ص10** ▪ **الباليار، ص 15** ▪ **بلنسية، ص 15** ▪ **البرتغال، ص 16-17-21** ▪ **برشلونة، ص 47-50-58** ▪ **بلجيكا، ص 53** ▪ **بورغوتيا، ص 53** **بوزريعة، ص 62**	▪ **الجزائر، ص**7-10-11-20-22-23-24-25-27-28-30-32-33-34-35-36-39-40-41-42-43-44-46-48-49-51-56-58-59-60-61-62-63-64-65-67-70-73-74-75 ▪ **جيجل، ص** 32-33-34-35 **جنوة، ص**46-61
ح	**ص**

▪ **الدولة الحفصية، ص**9-10-11-12-51-32 ▪ **الحصنة، ص** 10 **حلق الوادي، ص** 32-33-50-74	▪ **صقلية، ص 15-19-54**
د	**ط**
▪ **الدواودة، ص 10** ▪ **دلس، ص 37-69**	▪ **طليطلة، ص14-17** ▪ **طرابلس، ص 43-72-73-74**
ر	**ع**
▪ **جزيرة رودس، ص 30** ▪ **روما، ص 45**	▪ **عنابة، ص** 27-51 ▪ **الدولة العثمانية، ص** 41-42-43-44-55-56-57-74
ز	
▪ **الدولة الزيانية، ص** 7-8-10-13-32-77 ▪ **الزاب، ص** 10	
س	**غ**
▪ **سردينية، ص15-58** ▪ **سويسرا، ص 190** ▪ **سودان، ص22** ▪ **سيدي بلعباس، ص 38** **سيدي موسى،ص39**	▪ **غانة، ص**17 ▪ **غرناطة، ص** 18-23-24
	ف
ش	▪ **فرنسا، ص** 15-33-45-54-55
▪ **شاطبة، ص15-19-54** ▪ **شرشال، 35-40-46-47** ▪ **الشام، ص 44**	

فهرس المحتويات

قائمة المحتويات **الصفحة**

الشكر والعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ-هـ

الفصل الأول: أوضاع الجزائر وإسبانيا قبيل التواجد العثماني في الجزائر

المبحث الأول: أوضاع المغرب الأوسط (الجزائر.....

المطلب الأول: أوضاع المغرب الأوسط (الجزائر) ضعف الدولة الزيانية07

المطلب الثاني: جذور الصراع مع دول الجوار قبل القرن 16م

المبحث الثاني: أوضاع إسبانيا.....14

المطلب الأول: ممالك إسبانيا النصرانية.....14

المطلب الثاني: أوضاع إسبانيا سياسيا.....17

المبحث الثالث: الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية.....19

المطلب الأول: واقع الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية.....19

المطلب الثاني: العدوان الإسباني على السواحل الجزائرية.....23

الفصل الثاني: العلاقات الجزائرية الإسبانية بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس وتحرير السواحل.....30

المطلب الأول: الإخوة بربروس في حوض البحر الأبيض المتوسط.....30

المطلب الثاني: إستنجاد أهالي بجاية بالإخوة بربروس وتحرير جيجل.....32

المطلب الثالث: جهود الإخوة بربروس في تحرير بقية المدن الجزائرية.....35

المبحث الثاني: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وتداعياته.....40

المطلب الأول: قيام الحكم العثماني في الجزائر.....40

المطلب الثاني: تداعيات تأسيس إيالة الجزائر.....43
المبحث الثالث: الصراع الجزائري الإسباني قبل الحملة.....45
المطلب الأول: أهم الحملات وتحرير قلعة البنيون.....45
المطلب الثاني: الصراع الجزائري الإسباني على تونس.....49

الفصل الثالث: حملة شارلكان الخلفيات والتداعيات

المبحث الأول: شارلكان ومحيطه الأوروبي.....53
المطلب الأول: لمحة بيوغرافية عن شارلكان.....53
المطلب الثاني: شارلكان وعلاقاته مع الدول الأوروبية (الصراع مع فرنسا) 55
المبحث الثاني: خلفيات حملة شارلكان.....56
المطلب الأول: الاتصالات الديبلوماسية بين خير الدين بربروس وشارلكان قبيل الحملة.....56
المطلب الثاني: أسباب الحملة.....57
المبحث الثالث: الإستعدادات ووقائع الحملة.....59
المطلب الأول: إستعدادات الجانبين.....59
المطلب الثاني: سير الحملة ووقائعها.....62
المطلب الثالث: أسباب الهزيمة.....66
المبحث الرابع: تداعيات الحملة.....68
المطلب الأول: الخسائر المادية والمعنوية.....68
المطلب الثاني: النتائج السياسية لحملة شارلكان.....70
خاتمة.....77
قائمة الملاحق.....80
بيبليوغرافيا الدراسة.....87
فهرس الأعلام.....98

فهرس الأماكن.....101
فهرس المحتويات.....103